

الجزء الثامن

تأليف

الأستاذ الدكتور / موسى شاهين لاشين
رئيس قسم الحديث بجامعة الأزهر سابقا

الدكتور
حصة عبد العزيز السويدى
أستاذ الحديث وعلومه المساعد
جامعة قطر

الدكتور
أمانى موسى شاهين
أستاذ الحديث وعلومه المساعد
بفرع جامعة الأزهر للبنات

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (سورة يوسف ، ١١١)

قصص من الحديث النبوي ﷺ

مستخرج من صحيح البخاري

الجزء الثامن

تابع مهام رسول الله ﷺ بالمدينة

تأليف

الأستاذ الدكتور / موسى شاهين لاشين
رئيس قسم الحديث بجامعة الأزهر سابقا

الدكتور
حصة عبد العزيز السويدي
أستاذ الحديث وعلومه المساعد
جامعة قطر

الدكتور
أماني موسى شاهين
أستاذ الحديث وعلومه المساعد
بفرع جامعة الأزهر للبنات

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة يوسف ، ١١١]

تربية جيل على نهج الإسلام

كانت المهمة الكبرى لرسول الله ﷺ أن يُكوِّن ويربى جيلا على أسس الإسلام وشرائعه وآدابه ، تكون مهمته حمل هذه الرسالة وتبليغها للجيل الذى بعدهم ، فمهمتهم مهمة أنبياء بنى إسرائيل ، الانطباع بطبيعة الرسول ، وتبليغ رسالته من جيلهم إلى الجيل الذى بعدهم ، ومن شاهدهم إلى غائبهم .

وتتمثل فى :

أ- الاقتداء بالنبى ﷺ وطاعته

وتحقيقًا لهذا الهدف أمروا بطاعته والاقتداء به ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [1] . ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [2]. وكانت أفعاله صلى الله عليه وسلم كلها تشريعًا ، وأقواله صلى الله عليه وسلم كلها تشريعًا .

ب - المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

وكانت مقدمة تشريعاته صلى الله عليه وسلم المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وقد امتن الله تعالى بها عليهم ، فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم

---

(1) سورة الأحزاب : ٢١ .

(2) سورة الأحزاب : ٣٦ .

بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [1].

والمؤاخاة تفرضها الطبيعة الإنسانية ، فأبناء آدم إخوة ؛ لأن أباهم واحد ، وأمهم واحدة ، وتسمى أخوة الإنسانيـــة ، وعنها يقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ [2]. والتذكير بهذه الأخوة إيحاء بما ينبغي أن يكون عليه الإنسان مع أخيه من الأنس ، وعدم الوحشة ، ومن التآلف والتعاضد والتماسك وشد أزر بعضهم بعضًا .

والمؤمنون كلهم بعضهم لبعض إخوة ، والتذكير بهذه الأخوة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [3]. لتثبيت الحكمة السابقة والرقى بها والزيادة فيها .

ولنفس الهدف آخى النبى ﷺ بمكة بين من آمن ، فعند الحاكم عن ابن عمر – رضى الله عنهما – آخى رسول الله ﷺ بين أبى بكر وعمر ، وبين طلحة والزبير ، وبين عبد الرحمن بن عوف وعثمان ... رضى الله عنهم أجمعين .

وبعد الهجرة زادت الحاجة إلى تأكيد هذا الهدف وتقويتـــه ، ليـــذهب عن أصحابه المهاجرين وحشة الغربة ، ووحشة مفارقة الأهل والعشيرة ، وليشد الأخوان بعضهما أزر بعض ، فآخى رسول الله ﷺ بين المهـــاجرين والأنصار المؤمنين . كانت هذه المؤاخاة بعد الهجرة بخمسة أشهر ، وهو يبنى المسجد . روى أنه صلى الله عليه وسلم جمعهم فى المسجد ، وقـــال لهم : تآخوا أخوين أخوين ، فكان هو صلى الله عليه وســـلم وعلـــى بـــن

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٣ .

(٢) سورة الحجرات ، آية : ١٣.

(٣) سورة الحجرات ، آية : ١٠ .

أبى طالب ﷺ أخوين ، وزيد بن حارثة وحمزة - رضـى الله عنهمـا - أخوين ، وجعفر بن أبى طالب ومعاذ بـن جبـل رضـى الله عنهمـا - أخوين ، وقيل : كانت هذه المؤاخاة بين معاذ وبـين ابـن مسـعود ، لأن جعفرًا كان ما يزال فى الحبشة ، وقيل : أرصد له هذه الأخوة حتى يقدم ، وكان أبو بكر وخارجة بن زيد أخوين - رضى الله عنهما - وكان مصعب ابن عمير وأبو أيوب - رضى الله عنهما - أخوين ، وأبو حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر - رضى الله عنهما - أخوين ، وعمار وثابت بن قـيس - رضى الله عنهما - أخوين ، وأبو ذر والمنذر بن عمـرو - رضـى الله عنهما - أخوين ، وحاطب بن أبى بلتعة وعويم بن سـاعدة - رضـى الله عنهما - أخوين ، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع - رضـى الله عنهما - أخوين ، ولهما قصة فى الحديث رقـم (٢٠٤٨) أودعناهـا فـى مناقب عبد الرحمن بن عوف .

والتحقيق أن هذا التآخى بدأ أوائل ما وصل رسول الله ﷺ المدينـة ، واستمر يتزايد بدخول الجديد فى الإسلام ، أو وصول المهاجر إلى المدينة.

وإنما اشتهرت هذه المؤاخاة لأنها كان بها التوارث ، وكان المهاجرى يرث من الأنصارى دون ذوى رحمه ؛ بالأخوة التى آخاها رسول الله ﷺ حتى نزلت المواريث ، وقوله تعالى : ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ [1]. وفى ذلك الحديث :

٦٧٤٧ - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ ﴾ [2] ﴿ وَٱلَّذِينَ

---

(١) سورة الأنفال ، آية : ٧٥ .

(٢) سورة النساء ، آية : ٣٣.

عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ ﴾ (١) قَالَ : كَانَ الْمُهَاجِرُونَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَرِثُ الأَنْصَارِىُّ الْمُهَاجِرِىَّ دُونَ ذَوِى رَحِمِهِ لِلأُخُوَّةِ الَّتِى آخَى النَّبِىُّ ﷺ بَيْنَهُمْ ، فَلَمَّا نَزَلَتْ ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا ﴾ قَالَ : نَسَخَتْهَا ﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾.

وبهذه المؤاخاة تماسك المسلمون وتواحدوا ، وحرص بعضهم على مصالح بعض ، ونسوا أضغانهم وأحقادهم حتى وصلوا إلى درجة الإيثار ، وقال الله فيهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢).

ج - تبليغ الوحى أولا بأول

وكانت الوسيلة الثالثة لتحقيق هذه التربية أن يبلغهم الوحى أولا بأول ، وبخاصة إذا كانوا سببًا فى نزوله كما فى الحديث :

٥٣٠٨ - عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِىِّ ﷺ أَخْبَرَ أَنَّ عُوَيْمِراً الْعَجْلاَنِىَّ جَاءَ إِلَى عَاصِمِ بْنِ عَدِىٍّ الأَنْصَارِىِّ فَقَالَ لَهُ : يَا عَاصِمُ أَرَأَيْتَ رَجُلاً وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلاً ، أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ ، أَمْ كَيْفَ يَفْعَلُ ؟ سَلْ لِى يَا عَاصِمُ عَنْ ذَلِكَ . فَسَأَلَ عَاصِمٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ فَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسَائِلَ وَعَابَهَا ، حَتَّى كَبُرَ عَلَى عَاصِمٍ مَا سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا رَجَعَ عَاصِمٌ إِلَى أَهْلِهِ جَاءَهُ عُوَيْمِرٌ فَقَالَ : يَا عَاصِمُ ، مَاذَا قَالَ لَكَ رَسُولُ ﷺ ؟ فَقَالَ عَاصِمٌ لِعُوَيْمِرٍ : لَمْ تَأْتِنِى بِخَيْرٍ ، قَدْ كَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسْأَلَةَ الَّتِى سَأَلْتُهُ عَنْهَا . فَقَالَ عُوَيْمِرٌ : وَاللَّهِ لاَ أَنْتَهِى حَتَّى أَسْأَلَهُ عَنْهَا . فَأَقْبَلَ

---

(١) سورة النساء ، آية : ٣٣.

(٢) سورة الحشر ، آية : ٩ .

عُوَيْمِرٌ حَتَّى جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَسَطَ النَّاسِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ رَجُلاً وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلاً ، أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ أَمْ كَيْفَ يَفْعَلُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَدْ أُنْزِلَ فِيكَ وَفِي صَاحِبَتِكَ فَاذْهَبْ فَأْتِ بِهَا » . قَالَ سَهْلٌ : فَتَلاَعَنَا وَأَنَا مَعَ النَّاسِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا فَرَغَا مِنْ تَلاَعُنِهِمَا قَالَ عُوَيْمِرٌ : كَذَبْتُ عَلَيْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَمْسَكْتُهَا . فَطَلَّقَهَا ثَلاَثاً قَبْلَ أَنْ يَأْمُرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . قَالَ ابْنُ شِهَابٍ فَكَانَتْ سُنَّةَ الْمُتَلاَعِنَيْنِ .

والحديث :

٥٣١١ – عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ﷺ قَالَ : قُلْتُ لابْنِ عُمَرَ : رَجُلٌ قَذَفَ امْرَأَتَهُ ، فَقَالَ : فَرَّقَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَخَوَيْ بَنِي الْعَجْلاَنِ ، وَقَالَ : « اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ » . فَأَبَيَا . وَقَالَ : « اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبُ » . فَأَبَيَا . فَقَالَ : « اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ » فَأَبَيَا ، فَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا . قَالَ أَيُّوبُ : فَقَالَ لِي عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ : إِنَّ فِي الْحَدِيثِ شَيْئاً لاَ أَرَاكَ تُحَدِّثُهُ قَالَ : قَالَ الرَّجُلُ : مَالِي. قَالَ : قِيلَ لاَ مَالَ لَكَ ، إِنْ كُنْتَ صَادِقاً فَقَدْ دَخَلْتَ بِهَا ، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَهْوَ أَبْعَدُ مِنْكَ .

والحديث :

٥٣١٥ – عَنِ ابْنِ عُمَرَ – رضى الله عنهما – أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لاعَنَ بَيْنَ رَجُلٍ وَامْرَأَتِهِ ، فَانْتَفَى مِنْ وَلَدِهَا ، فَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا ، وَأَلْحَقَ الْوَلَدَ بِالْمَرْأَةِ .

والقرآن الذى نزل بخصوص هذه القضية قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ ﴾ ويقذفونهن ويتهمونهن صراحة بالزنا ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ ﴾ أربع على صحة ما قذفوا ﴿ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ

شَهَـٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٦﴾ ﴾ فيما رماها به من الزنا ، ويقول فى الشهادة الخامسة ﴿ وَٱلْخَـٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾ فإن صدقته وأقرت أقيم عليها الحد ، وإن لاعنت مثله رفع عنها الحد ، وفرق بينـــهما ﴿ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَـٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَـٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [1] فإن لم يلاعن القاذف زوجته ولم يأت بأربعة شهداء أقيم عليه حد القذف ، وكذلك إذا قذف بالزنا رجلا أو امرأة ولم يأت بأربعة شهداء أقيم عليه حد القذف ، عملا بقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَـٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [2] هذه فى القذف الصريح ، أما التعريض بالاتهام ، واستعمال الكنايات والإشارات البعيدة فانه يوعظ ، ويفهم ويبصر لتزول شبهته ، كالرجل الذى عرض بنفى الولد فى الحديث:

٥٣٠٥ - عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِىَّ ﷺ سلم فَقَالَ : يَـا رَسُولَ اللَّهِ وُلِدَ لِى غُلاَمٌ أَسْوَدُ . فَقَالَ : « هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ » ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : « مَا أَلْوَانُهَا » ؟ قَالَ : حُمْرٌ . قَالَ : « هَـلْ فِيهَـا مِـنْ أَوْرَقَ » ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ « فَأَنَّى ذَلِكَ » ؟ قَالَ : لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ . قَالَ : « فَلَعَـلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ » .

---

(١) سورة النور ، الآيات : ٦- ٩ .

(٢) سورة النور ، الآية : ٤ .

وكقصة خولة بنت ثعلبة ، وقد قال لها زوجها : أنت علىَّ كظهر أمى ، وكان أهل الجاهلية يطلقون بثلاث : بالظهار فيحرم الزوجة مطلقًا ، وبالإيلاء – وهو حلف الزوج على زوجته أن لا يطأها أربعة أشهر فأكثر، فتمضى الأشهر الأربعة ، فإن فاء ورجع وجامعها فيها فبها ونعمت وإلا ألزم بطلاقها ، وفيه يقول تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ [1] وكان أهل الجاهلية كذلك يطلقون بالطلاق ، فأقر الله الطلاق طلاقًا ، وحكم فى الإيلاء بما سبق .

ولما شكت خولة إلى رسول الله ﷺ أن زوجها ظاهر منها نزلت عليه الآيات ، فقرأها عليها ، وبلغ حكمها .

وقصة ابن أم مكتوم مشهورة ، ويحدثنا عنها الحديث :

٤٥٩٢ – عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِىِّ أَنَّهُ رَأَى مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ فِى الْمَسْجِدِ ، قال : فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جَلَسْتُ إِلَى جَنْبِهِ ، فَأَخْبَرَنَا أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمْلَى عَلَيْهِ : (لَا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِن الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ) فَجَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ يُمِلُّهَا عَلَىَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَاللَّهِ لَوْ أَسْتَطِيعُ الْجِهَادَ لَجَاهَدْتُ – وَكَانَ أَعْمَى – فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِى . فَثَقُلَتْ عَلَىَّ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تُرَضَّ فَخِذِى ، ثُمَّ سُرِّىَ عَنْهُ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ ﴾ [2].

---

(1) سورة البقرة ، الآيتان : ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(2) سورة النساء ، الآية : ٩٥ .

وكان القرآن ينزل منجمًا مجزأً مفرقًا حسب المناسبات ، وكان رسول الله ﷺ يحفظه بمجرد سماعه لدرجة أن قال الله له : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾[1].

فكان صلى الله عليه وسلم يدعو أحد كتاب الوحى ، فيملها عليه فيكتبها ، ويكتبها منه الصحابة ، وقد يسمعون قراءته صلى الله عليه وسلم يحفظهم ما نزل ، فيحفظون أو يكتبون .

وقد قرأنا فى الحديث رقم : ٤٩٣١ أن ابن مسعود أخذ سورة المرسلات من فم رسول الله ﷺ ، وقرأنا الحديث رقم : ٤٩٩٢ وفيه أن كلا من عمر وهشام بن حكيم - رضى الله عنهما - سمعا من رسول الله ﷺ قراءتين مختلفتين لآية من سورة الفرقان ، فأقرهما رسول الله ﷺ وقال لهما : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرءوا ما تيسر منه ».

وكان صلى الله عليه وسلم يشجع أصحابه على حفظ القرآن وقراءته فى الصلاة وغيرها .

٥٠٢٠ - فعَنْ أَبِى مُوسَى ﷺ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : « مَثَلُ الَّذِى يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ ، وَالَّذِى لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلاَ رِيحَ لَهَا ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِى يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِى لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ وَلاَ رِيحَ لَهَا » .

---

[1] سورة القيامة ، الآيات : ١٦- ١٩ .

٥٠٢٦ - وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ : « لاَ حَسَدَ إلاَّ فِى اثْنَتَيْن: رجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهارِ ، فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ ، فَقَالَ : لَيْتَنِى أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِىَ فُلاَنٌ ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ ، ورَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِى الْحَقِّ ، فَقَالَ رَجُلٌ لَيْتَنِى أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِىَ فُلاَنٌ ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ » .

٥٠٢٧ - وعَنْ عُثْمَانَ ﷺ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » .

وحدَّث أسيد بن حضير رسول الله ﷺ أنه قرأ سورة البقرة فى الليل ، فرأى عجبًا ، وكان الحديث :

٥٠١٨ - عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ ﷺ قَالَ : بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَفَرَسُهُ مَرْبُوطٌ عِنْدَهُ إِذْ جَالَتِ الْفَرَسُ ، فسكت فسكتت ، فَقَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ ، فَسكت وسكتت الْفَرَسُ ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ ، فَانْصَرَفَ وكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيباً مِنْهَا فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ ، فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى مَا يَرَاهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِىَّ ﷺ ، فَقَالَ : « اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ » . قَالَ : فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى وَكَانَ مِنْهَا قَرِيباً ، فَرَفَعْتُ رَأْسِى فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِى إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ ، فَخَرَجَتْ حَتَّى لاَ أَرَاهَا . قَالَ : « وَتَدْرِى مَا ذَاكَ » ؟ قَالَ : لاَ . قَالَ : « تِلْكَ الْمَلاَئِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ وَلَوْ قَرَأْتَ لأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا لاَ تَتَوَارَى مِنْهُمْ » .

بل طلب صلى الله عليه وسلم من عبد الله بن مسعود أن يقرأ عليه ، فقرأ عليه حتى بكى صلى الله عليه وسلم ، يحدثنا عن ذلك الحديث :

٥٠٥٠ – عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : قَالَ لِى النَّبِىُّ ﷺ : « اقْرَأْ عَلَىَّ » . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » . فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الآيَةِ ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [1] قَالَ : « حَسْبُكَ الآنَ » . فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ .

وتنافس الصحابة فى حفظ القرآن وقراءته فى الصلاة وغيرها مما جعل رسول الله ﷺ يخاف الملل أو الفتنة أو التقصير ، فعنف معاذ بن جبل لأنه قرأ بالناس فى الصلاة بالبقرة ، يصور الحادثة الحديث :

٧٠١ – عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : كَانَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يُصَلِّى مَعَ النَّبِىِّ ﷺ ثُمَّ يَرْجِعُ فَيَؤُمُّ قَوْمَهُ ، فَصَلَّى الْعِشَاءَ فَقَرَأَ بِالْبَقَرَةِ ، فَانْصَرَفَ الرَّجُلُ ، فَكَأَنَّ مُعَاذاً تَنَاوَلَ مِنْهُ ، فَبَلَغَ النَّبِىَّ ﷺ فَقَالَ : « فَتَّانٌ فَتَّانٌ فَتَّانٌ » ثَلاثَ مِرَارٍ أَوْ قَالَ : « فَاتِناً فَاتِناً فَاتِنٌ » وَأَمَرَهُ بِسُورَتَيْنِ مِنْ أَوْسَطِ الْمُفَصَّلِ .

٧٠٢ – وعن أَبِى مَسْعُودٍ أَنَّ رَجُلاً قَالَ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّى لأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلاَةِ الْغَدَاةِ مِنْ أَجْلِ فُلاَنٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا . فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِى مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَباً مِنْهُ يَوْمَئِذٍ ، ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ ، فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ » .

وناقش رسول الله ﷺ عبد الله بن عمرو – رضى الله عنهما – وكان يقرأ القرآن كله فى كل ليلة ، فكان هذا الحديث :

٥٠٥٢ – عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : أَنْكَحَنِى أَبِى امْرَأَةً ذَاتَ

---

[1] سورة النساء ، الآية : ٤١ .

حَسَبٍ ، فَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ – زوجة ولده – فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْلِهَا ، فَتَقُولُ : نِعْمَ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشاً – أى لم يضاجعنا – وَلَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفاً – أى سترًا ، أى لم يجامعنا – مُذْ أَتَيْنَاهُ ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : « الْقَنِى بِهِ ». فَلَقِيتُهُ بَعْدُ ، فَقَالَ : « كَيْفَ تَصُومُ » ؟ قَالَ : كُلَّ يَوْمٍ . قَالَ: « وَكَيْفَ تَخْتِمُ » ؟ قَالَ : كُلَّ لَيْلَةً . قَالَ : « صُمْ فِى كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةً وَاقْرَإِ الْقُرْآنَ فِى كُلِّ شَهْرٍ » – مرة – قَالَ : قُلْتُ : أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ . قَالَ : « صُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ فِى الْجُمُعَةِ » . قُلْتُ : أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ . قَالَ : « أَفْطِرْ يَوْمَيْنِ وَصُمْ يَوْماً » . قَالَ : قُلْتُ أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ . قَالَ : « صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْمِ صَوْمِ دَاوُدَ صِيَامَ يَوْمٍ وَإِفْطَارَ يَوْمٍ ، وَاقْرَأْ – القرآن – فِى كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً » . فَلَيْتَنِى قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَذَاكَ أَنِّى كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ ، فَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى بَعْضِ أَهْلِهِ السُّبْعَ مِنَ الْقُرْآنِ بِالنَّهَارِ ، وَالَّذِى يَقْرَؤُهُ يَعْرِضُهُ مِنَ النَّهَارِ – ليتذكر ما يقرأ به فى الليل خشية أن يكون قد خفى عليه شيء بالنسيان – وَلِيَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَقَوَّى أَفْطَرَ أَيَّاماً وَأَحْصَى ، وَصَامَ مِثْلَهُنَّ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَتْرُكَ شَيْئاً فَارَقَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَيْهِ . قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : وَقَالَ بَعْضُهُمْ : فِى ثَلاثٍ وَفِى خَمْسٍ وَأَكْثَرُهُمْ عَلَى سَبْعٍ .

وبعد ستة عشر شهرًا من وصول النبى ﷺ إلى المدينة تحولت قبلة الصلاة من بيت المقدس إلى الكعبة ، ونزل قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [١].

([١]) سورة البقرة ، الآية : ١٤٤ .

نزلت الآية والنبى ﷺ يصلى الظهر فى مسجد خارج المدينة ، وقد صلى ركعتين ، فاستدار صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة ، واستدار معه أصحابه ، فسمى هذا المسجد : مسجد ذى القبلتين ، وما زال هذا المسجد موجودًا بالقرب من المدينة ، وفيه مكان القبلتين ، ثم صلى النبى ﷺ العصر فى مسجده بالمدينة متوجهًا إلى الكعبة ، وصلى معه أناس ، وخرج منهم واحد متوجهًا نحو بنى حارثة فى مسجدهم ، وهم يصلون العصر مستقبلين بيت المقدس ، فأخبرهم بتحويل القبلة ، فاستداروا ، ثم ذهب هذا الرجل إلى قباء فوجدهم يصلون نحو بيت المقدس فأخبرهم بتحويل القبلة فاستداروا . يحكى هذه القصة الحديث :

٣٩٩ - عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ - رضى الله عنهما - قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ أَنْ يُوَجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ (١) فَتَوَجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ ، وَقَالَ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ - وَهُمُ الْيَهُودُ - مَا وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِى كَانُوا عَلَيْهَا ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾ (٢) فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ مَا صَلَّى ، فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الأَنْصَارِ فِى صَلاَةِ الْعَصْرِ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَقَالَ : هُوَ يَشْهَدُ أَنَّهُ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَنَّهُ تَوَجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ . فَتَحَرَّفَ الْقَوْمُ حَتَّى تَوَجَّهُوا نَحْوَ الْكَعْبَةِ .

وفى السنة الأولى للهجرة شرع الأذان .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٤٤ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٤٤ .

وفى السنة الثانية للهجرة فرض صيام شهر رمضان ، وفيه أحل لهم ليلة الصيام الرفث إلى نسائهم ، وأحل لهم الأكل والشرب ليلا حتى الفجر.

وفيه شرعت زكاة الفطر ، وزكاة المال ، وصلاة العيد .

وكان صلى الله عليه وسلم يبلغ أصحابه التشريع الجديد ، ويراقب تنفيذهم له ، ويصلح لهم إذا أخطأوا .

أعرابى يبول فى المسجد فينصحه برفق .

وأبو بردة يذبح أضحيته قبل صلاة الإمام ، فيصحح لـه الخطأ ، ويقبل منه الاعتذار .

٥٥٦ . - فعَنِ الْبَرَاء ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِىَّ ﷺ يَخْطُبُ فَقَالَ : « إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ مِنْ يَوْمِنَا هَذَا أَنْ نُصَلِّىَ ، ثُمَّ نَرْجِعَ فَنَنْحَرَ ، فَمَنْ فَعَلَ هَذَا فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا ، وَمَنْ نَحَرَ فَإِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ يُقَدِّمُهُ لأَهْلِه ، لَيْسَ مِنَ النُّسُكِ فِى شَىْءٍ » . فَقَالَ أَبُو بُرْدَةَ : يَا رَسُولَ اللَّه ، ذَبَحْتُ قَبْلَ أَنْ أُصَلِّىَ ، وَعِنْدِى جَذَعَةٌ – ابنة خمسة أشهر من المعز – **خَيْرٌ مِنْ مُسِنَّةٍ** – بنت سنتين – **فَقَالَ : « اجْعَلْهَا مَكَانَهَا ، وَلَنْ تَجْزِىَ أَوْ تُوفِىَ عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ » .**

والجمهور يجوزون الجذعة من الضأن ، ولا يجوزون الجذعة من المعز .

وكان رسول الله ﷺ كما وصفه ربه بقوله : ﴿ **لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴿١٢٨﴾ ﴾ (١) لا يرد سائلا ، ويعطيه أعز ما عنده ، كما فى الحديث :

٥٨١ . – عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ : جَاءَتِ امْرَأَةٌ بِبُرْدَةٍ – قَالَ

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ١٢٨ .

سَهْلٌ : هَلْ تَدْرِى مَا الْبُرْدَةُ ؟ قَالَ : نَعَمْ هِىَ الشَّمْلَةُ - أى ما يشتمل به ويلتحف به - مَنْسُوجٌ فِى حَاشِيَتِهَا - حاشية الثوب طرفه الذى يبقى خيوطًا غير منسوجة غالبًا ، لكن هذه البردة كانت حاشيتها منسوجة - قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّه ، إِنِّى نَسَجْتُ هَذِهِ بِيَدِى أَكْسُوكَهَا . فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللَّه ﷺ مُحْتَاجاً إِلَيْهَا ، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا لإِزَارُهُ ، فَجَسَّهَا رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّه اكْسُنِيهَا . قَالَ : « نَعَمْ » . فَجَلَسَ مَا شَاءَ اللَّهُ فِى الْمَجْلِسِ ، ثُمَّ رَجَعَ ، فَطَوَاهَا ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ : مَا أَحْسَنْتَ ، سَأَلْتَهَا إِيَّاهُ وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ لاَ يَرُدُّ سَائِلاً . فَقَالَ الرَّجُلُ : وَاللَّه مَا سَأَلْتُهَا إِلاَّ لِتَكُونَ كَفَنِى يَوْمَ أَمُوتُ . قَالَ سَهْلٌ : فَكَانَتْ كَفَنَهُ .

ويتحمل الأذى ، ويعفو عمن يسيء ، ففى الحديث :

٥٨٠٩ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِى مَعَ رَسُولِ اللَّه ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِىٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِىٌّ ، فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللَّه ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِه ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِى مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِى عِنْدَكَ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّه ﷺ ، ثُمَّ ضَحِكَ ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ .

٦١٦٣ - وَعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ ﷺ قَالَ : بَيْنَا النَّبِىُّ ﷺ يَقْسِمُ ذَاتَ يَوْمٍ قِسْماً فَقَالَ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ - رَجُلٌ مِنْ بَنِى تَمِيمٍ - يَا رَسُولَ اللَّه اعْدِلْ . قَالَ : « وَيْلَكَ مَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ » . فَقَالَ عُمَرُ : ائْذَنْ لِى فَلأَضْرِبْ عُنُقَهُ . قَالَ : « لاَ ، إِنَّ لَهُ أَصْحَاباً يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمُرُوقِ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَىْءٌ - أى إذا أصاب السهم الصيد ، وخرج منه بسرعة لم يعلق به شيء ، فإذا التمس الرامى سهمه وجده ، ولم يجد الصيد فينظر فى السهم ليعرف هل أصاب الصيد أم أخطأه

فلا يرى أثرًا فيظن أنه لم يصبه ، وللسهم أجزاء : النصل وهو حديدته ، والرِّصاف وهو العصا الصغيرة التى تكون فوق مدخل النصل ، والنضى وهو القِدْح عود السهم . والقذذ بضم القاف وفتح الذال الأولى ريش السهم. والمعنى ينظر فى السهم جملة وتفصيلا فلا يرى شيئًا ويتشكك فى الفوق ، والمقصود بذلك الخوارج يدخلون الإسلام ويخرجون منه . وقد قاتلهم الإمام على رضي الله عنه - **ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَىْءٌ ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَىْءٌ ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَىْءٌ ، سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ** - أى سبق السهم الفرث والدم وجاوزهما فلم يتعلق به شيء منهما - **يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ إِحْدَى يَدَيْهِ مِثْلُ ثَدْىِ الْمَرْأَةِ ، أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ »** - أى مثل قطعة اللحم تبرو وتتحرك وتدلى - **قَالَ أَبُو سَعِيد : أَشْهَدُ لَسَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِىِّ ﷺ وَأَشْهَدُ أَنِّى كُنْتُ مَعَ عَلِىٍّ حِينَ قَاتَلَهُمْ ، فَالْتُمِسَ فِى الْقَتْلَى ، فَأُتِىَ بِهِ عَلَى النَّعْتِ الَّذِى نَعَتَ النَّبِىُّ ﷺ .**

يحب أصحابه ، ويحرص على مصالحهم ، وينصحهم بما ينفعهم ، ويدلهم على طريق الخير ، ففى الحديث :

٥٦ - **عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاصٍ رضي الله عنه أَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِى بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلاَّ أُجِرْتَ عَلَيْهَا ، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِى فِى امْرَأَتِكَ » .**

ورأى أبا هريرة يتسرب ويتخفى منه ، فسأله :

٢٨٣ - **عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ لَقِيَهُ فِى بَعْضِ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ وَهْوَ جُنُبٌ ، قال : فَانْخَنَسْتُ مِنْهُ** - فاختفيت منه - **فَذَهَبَ فَاغْتَسَلَ ، ثُمَّ جَاءَ ، فَقَالَ : « أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ » ؟ قَالَ : كُنْتُ جُنُباً ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُجَالِسَكَ وَأَنَا عَلَى غَيْرِ طَهَارَةٍ . فَقَالَ : « سُبْحَانَ اللَّهِ ، إِنَّ**

الْمُؤْمِنَ لاَ يَنْجُسُ » .

ورأى أصحابه منزعجين من تفسيرهم آية من القرآن ، ففسر لهم التفسير الصحيح الذى يطمئنهم :

٣٣٦٠ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [1] قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ . قَالَ : « لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ بِشِرْكٍ ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لابْنِهِ : ﴿ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [2] .

يدلهم على طريق الحسنات ، فيقول :

٦٠٢٢ - عَنْ أَبِى مُوسَى الأَشْعَرِىِّ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ » . قَالُوا : فَإِنْ لَمْ يَجِدْ . قَالَ : « فَيَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ » . قَالُوا : فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَوْ لَمْ يَفْعَلْ . قَالَ : « فَيُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ » . قَالُوا : فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ . قَالَ : « فَيَأْمُرُ بِالْخَيْرِ » . أَوْ قَالَ : « بِالْمَعْرُوفِ » . قَالَ : فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ. قَالَ : « فَيُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ ، فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ » .

وفى الحديث :

٨٤٣ - عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ فَقَالُوا : ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلاَ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّى ، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالِ

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٨٢ .

(٢) سورة لقمان ، الآية : ١٣ .

يَحُجُّونَ بِهَا ، وَيَعْتَمِرُونَ ، وَيُجَاهِدُونَ ، وَيَتَصَدَّقُونَ قَالَ : « أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ بِأَمْرٍ إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ ، إِلاَّ مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ ، وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ » . فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا فَقَالَ بَعْضُنَا : نُسَبِّحُ ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ ، وَنَحْمَدُ ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ ، وَنُكَبِّرُ أَرْبَعاً وَثَلاَثِينَ . فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ : « تَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلِّهِنَّ ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ » .

ويقول :

٥٦٧٣ - عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « لَنْ يُدْخِلَ أَحَداً عَمَلُهُ الْجَنَّةَ » . قَالُوا : وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : « لاَ ، وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِى اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ ، فَسَدِّدُوا ، وَقَارِبُوا ، وَلاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ ، إِمَّا مُحْسِناً فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْراً ، وَإِمَّا مُسِيئاً فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ » .

ورأى عمر ﷺ يرغب فى الوقف والصدقة ، فنصحه فى الحديث :

٢٧٦٤ - عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما - أَنَّ عُمَرَ تَصَدَّقَ بِمَالٍ لَهُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ يُقَالُ لَهُ ثَمْغٌ ، وَكَانَ نَخْلاً ، فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّى اسْتَفَدْتُ مَالاً ؛ وَهُوَ عِنْدِى نَفِيسٌ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهِ . فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « تَصَدَّقْ بِأَصْلِهِ ، لا يُبَاعُ وَلاَ يُوهَبُ وَلاَ يُورَثُ ، وَلَكِنْ يُنْفَقُ ثَمَرُهُ » . فَتَصَدَّقَ بِهِ عُمَرُ ، فَصَدَقَتُهُ ذَلِكَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَفِى الرِّقَابِ وَالْمَسَاكِينِ وَالضَّيْفِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلِذِى الْقُرْبَى ، وَلاَ جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهُ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ ، أَوْ يُوكِلَ صَدِيقَهُ غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ بِهِ .

ورأى مسلمًا يتلقف جرابًا فيه طعام من يهود خيبر، فقال الرسول ﷺ

لصاحب المغانم : « خل بينه وبين جرابه » .

٥٥٠٨ - فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ ﷺ قَالَ : كُنَّا مُحَاصِرِينَ قَصْرَ خَيْبَرَ ، فَرَمَى إِنْسَانٌ بِجِرَابٍ فِيهِ شَحْمٌ ، فَنَزَوْتُ لآخُذَهُ ، فَالْتَفَتُّ ، فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : طَعَامُهُمْ ذَبَائِحُهُمْ . فى قوله تعالى : ﴿ **وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ** ﴾ (١) .

وكان صلى الله عليه وسلم يردف أصحابه خلفه ، فيـزودهم بـآداب الإسلام .

فأردف معاذ بن جبل خلفه على حمار ، وزوده بهذا الحديث :

٥٩٦٧ - عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ : بَيْنَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَ بَيْنِى وَبَيْنَهُ إِلاَّ أَخِرَةُ الرَّحْلِ فَقَالَ : « يَا مُعَاذُ » . قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّـهِ وَسَعْدَيْكَ . ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ : « يَا مُعَاذُ » . قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ . ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ : « يَا مُعَاذُ » . قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ . قَالَ : « هَلْ تَدْرِى مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ » ؟ قُلْتُ : اللَّـهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : « حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِـهِ شَيْئاً » . ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ : « يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ » . قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ . فَقَالَ : « هَلْ تَدْرِى مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّـهِ إِذَا فَعَلُوهُ » ؟ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : « حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّـهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ » .

زاد فى الحديث ٢٨٥٦ : **أَفَلاَ أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ قَالَ : « لاَ تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا » .**

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥ .

وكان أبو موسى ﷺ في صحبته في غزوة فنصحه بهذا الحديث :

٦٣٨٤ - عَنْ أَبِى مُوسَى ﷺ قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِىِّ ﷺ فِى سَفَرٍ فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا فَقَالَ ﷺ : « أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِباً ، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعاً بَصِيراً » . ثُمَّ أَتَى عَلَىَّ وَأَنَا أَقُولُ فِى نَفْسِى : لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ . فَقَالَ : « يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ ، قُلْ : لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ » . أَوْ قَالَ : « أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ هِىَ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ » .

وكلما اجتمع صلى الله عليه وسلم مع بعض أصحابه علمهم من الشرائع ما ينفعهم ، فهذا جابر بن عبد الله ﷺ يقول :

٦٣٨٢ - عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ : كَانَ النَّبِىُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ فِى الأُمُورِ كُلِّهَا كَالسُّورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ « إِذَا هَمَّ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ ، وَأَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِى فِى دِينِى وَمَعَاشِى وَعَاقِبَةِ أَمْرِى - أَوْ قَالَ : عَاجِلِ أَمْرِى وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِى ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِى فِى دِينِى وَمَعَاشِى وَعَاقِبَةِ أَمْرِى - أَوْ قَالَ : فِى عَاجِلِ أَمْرِى وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّى وَاصْرِفْنِى عَنْهُ ، وَاقْدُرْ لِىَ الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ، ثُمَّ رَضِّنِى بِهِ . وَيُسَمِّى حَاجَتَهُ » .

وصحبه أبو ذر ﷺ في ليلة قراءته على الجن ، فحدثنا بهذا الحديث:

٦٢٦٨ - عن أَبِى ذَرٍّ قال : كُنْتُ أَمْشِى مَعَ النَّبِىِّ ﷺ فِى حَرَّةِ الْمَدِينَةِ عِشَاءً اسْتَقْبَلَنَا أُحُدٌ فَقَالَ : « يَا أَبَا ذَرٍّ مَا أُحِبُّ أَنَّ أُحُداً لِى ذَهَباً

يَأْتِى عَلَىَّ لَيْلَةٌ أَوْ ثَلاَثٌ عِنْدِى مِنْهُ دِينَارٌ ، إِلاَّ أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ ، إِلاَّ أَنْ أَقُولَ بِهِ فِى عِبَادِ اللَّهِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا » . وَأَرَانَا بِيَدِهِ . ثُمَّ قَالَ : « يَا أَبَا ذَرٍّ » . قُلْتُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « الأَكْثَرُونَ هُمُ الأَقَلُّونَ إِلاَّ مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا » . ثُمَّ قَالَ لِى : « مَكَانَكَ لاَ تَبْرَحْ يَا أَبَا ذَرٍّ حَتَّى أَرْجِعَ » . فَانْطَلَقَ حَتَّى غَابَ عَنِّى ، فَسَمِعْتُ صَوْتاً فَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عُرِضَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَرَدْتُ أَنْ أَذْهَبَ ، ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : « لاَ تَبْرَحْ » . فَمَكُثْتُ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، سَمِعْتُ صَوْتاً خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عُرِضَ لَكَ ، ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَكَ فَقُمْتُ . فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ «: ذَاكَ جِبْرِيلُ أَتَانِى ، فَأَخْبَرَنِى أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِى لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ ». قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ : « وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ » .

ويقول ابن مسعود ﷺ :

٦٢٦٥ – عَلَّمَنِى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَفِّى بَيْنَ كَفَّيْهِ التَّشَهُّدَ ، كَمَا يُعَلِّمُنِى السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِىُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . وَهْوَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا ، فَلَمَّا قُبِضَ قُلْنَا السَّلاَمُ . يَعْنِى عَلَى النَّبِىِّ ﷺ .

وجاء جابر ﷺ فى دين على أبيه لليهود ، فطرق الباب ، فقال صلى الله عليه وسلم : من ذا ؟ فقال جابر : أنا .

ولما كانت هذه الكلمة لا تبين عن شخصية صاحبها كانت جوابا غير مفيد ، فعلمه رسول الله ﷺ وكان هذا الحديث :

٦٢٥٠ – عَنْ جَابِرٍ ﷺ يَقُولُ أَتَيْتُ النَّبِىَّ ﷺ فِى دَيْنٍ كَانَ عَلَى أَبِى فَدَقَقْتُ الْبَابَ ، فَقَالَ : « مَنْ ذَا » . فَقُلْتُ : أَنَا . فَقَالَ : « أَنَا أَنَا » . كَأَنَّهُ

كَرِهَهَا .

واحترق بيت على أهله بالمدينة ليلا ، فكانت هذه النصيحة :

٦٢٩٤ - عَنْ أَبِى مُوسَى ﷺ قَالَ : احْتَرَقَ بَيْتٌ بِالْمَدِينَةِ عَلَى أَهْلِهِ مِنَ اللَّيْلِ ، فَحُدِّثَ بِشَأْنِهِمُ النَّبِىُّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ هَذِهِ النَّارَ إِنَّمَا هِىَ عَدُوٌّ لَكُمْ ، فَإِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوهَا عَنْكُمْ » .

وهذه النصيحة :

٦٢٩٦ - عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَطْفِئُوا الْمَصَابِيحَ بِاللَّيْلِ إِذَا رَقَدْتُمْ ، وَغَلِّقُوا الأَبْوَابَ ، وَأَوْكُوا الأَسْقِيَةَ ، وَخَمِّرُوا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ » . - قَالَ هَمَّامٌ وَأَحْسِبُهُ قَالَ - « وَلَوْ بِعُودٍ » .

وكان صلى الله عليه وسلم يزور أصحابه فى بيوتهم ، ويأكل عندهم ويصلى وينام ، ويرشد وينصح ، وقد تعرضنا فى مأكله ومشربه صلى الله عليه وسلم إلى طرف من ذلك ، ونزيد هنا :

صلاته صلى الله عليه وسلم فى بيت عتبان ﷺ :

٥٤٠١ - عن مَحْمُود بْن الرَّبِيعِ الأَنْصَارِىّ قال : إِنَّ عِتْبَانَ بْنَ مَالِك - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِىِّ ﷺ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْراً مِنَ الأَنْصَارِ - أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّى أَنْكَرْتُ بَصَرِى وَأَنَا أُصَلِّى لِقَوْمِى ، فَإِذَا كَانَتِ الأَمْطَارُ سَالَ الْوَادِى الَّذِى بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ ، لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ آتِىَ مَسْجِدَهُمْ فَأُصَلِّىَ لَهُمْ ، فَوَدِدْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَّكَ تَأْتِى فَتُصَلِّى فِى بَيْتِى ، فَأَتَّخِذُهُ مُصَلًّى . فَقَالَ : « سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » . قَالَ عِتْبَانُ : فَغَدَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ ، فَاسْتَأْذَنَ النَّبِىُّ ﷺ فَأَذِنْتُ لَهُ فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ ، ثُمَّ قَالَ لِى : « أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّىَ مِنْ بَيْتِكَ » . فَأَشَرْتُ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ الْبَيْتِ ، فَقَامَ النَّبِىُّ ﷺ فَكَبَّرَ ، فَصَفَفْنَا ،

فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ سَلَّمَ وَحَبَسْنَاهُ عَلَى خَزِيرٍ صَنَعْنَاهُ ، فَثَابَ فِى الْبَيْتِ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الدَّارِ ذَوُو عَدَدٍ فَاجْتَمَعُوا ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : أَيْنَ مَالِكُ بْنُ الدُّخْشُنِ ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : ذَلِكَ مُنَافِقٌ لاَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ . قَالَ النَّبِىُّ ﷺ: « لاَ تَقُلْ ، أَلاَ تَرَاهُ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ . يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ » ؟ قَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : قُلْنَا : فَإِنَّا نَرَى وَجْهَهُ وَنَصِيحَتَهُ إِلَى الْمُنَافِقِينَ . فَقَالَ : « فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ . يَبْتَغِى بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ » .

وزيارته صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو – رضى الله عنهما لما بلغه أنه يتشدد فى العبادة :

٦٢٧٧ – عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : إِنَّ النَّبِىَّ ﷺ ذُكِرَ لَهُ صَوْمِى ، فَدَخَلَ عَلَىَّ ، فَأَلْقَيْتُ لَهُ وِسَادَةً مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ ، فَجَلَسَ عَلَى الأَرْضِ ، وَصَارَتِ الْوِسَادَةُ بَيْنِى وَبَيْنَهُ ، فَقَالَ لِى : « أَمَا يَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ » . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « خَمْساً » . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « سَبْعاً » . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ : « تِسْعاً ». قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « إِحْدَى عَشْرَةَ » . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « لاَ صَوْمَ فَوْقَ صَوْمِ دَاوُدَ ، شَطْرَ الدَّهْرِ ، صِيَامُ يَوْمٍ ، وَإِفْطَارُ يَوْمٍ » .

وزيارته صلى الله عليه وسلم خادمه أنسًا فى بيته بحضور أمه ، ونيامه عندها ، وعند أختها أم حرام ، يحدثنا عن ذلك الحديثان :

٦٢٨١ – عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : إِنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ كَانَتْ تَبْسُطُ لِلنَّبِىِّ ﷺ نِطَعاً فَيَقِيلُ عِنْدَهَا عَلَى ذَلِكَ النِّطَعِ – قَالَ – فَإِذَا نَامَ النَّبِىُّ ﷺ أَخَذَتْ مِنْ عَرَقِهِ وَشَعَرِهِ ، فَجَمَعَتْهُ فِى قَارُورَةٍ ، ثُمَّ جَمَعَتْهُ فِى سُكٍّ – أى خلطته فى طيب – قَالَ – فَلَمَّا حَضَرَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ الْوَفَاةُ أَوْصَى أَنْ يُجْعَلَ فِى حَنُوطِهِ مِنْ

ذَلكَ السُّكِّ - قَالَ - فَجُعِلَ فِى حَنُوطِهِ .

٦٢٨٢ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك ﷺ قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ إِلَى قُبَاءِ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فَتُطْعِمُهُ ، وكَانَتْ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِت ، فَدَخَلَ يَوْماً فَأَطْعَمَتْهُ ، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ يَضْحَكُ . قَالَتْ : فَقُلْتُ : مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : « نَاسٌ مِنْ أُمَّتِى عُرِضُوا عَلَىَّ غُزَاةً فِى سَبِيلِ اللَّهِ ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ ، مُلُوكاً عَلَى الأَسِرَّةِ » . - أَوْ قَالَ : « مِثْلُ الْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ » . شَكَّ إِسْحَاقُ - قُلْتُ : ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِى مِنْهُمْ . فَدَعَا ، ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ يَضْحَكُ ، فَقُلْتُ : مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « نَاسٌ مِنْ أُمَّتِى عُرِضُوا عَلَىَّ ، غُزَاةً فِى سَبِيلِ اللَّهِ ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ ، مُلُوكاً عَلَى الأَسِرَّةِ » . أَوْ « مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ » . فَقُلْتُ : ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِى مِنْهُمْ . قَالَ : « أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ » . فَرَكِبَتِ الْبَحْرَ زَمَانَ مُعَاوِيَةَ ، فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ ، فَهَلَكَتْ .

وزيارته صلى الله عليه وسلم لقوم يصلح بينهم كما فى الحديث :

٦٨٤ - عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِىِّ ﷺ قال : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَهَبَ إِلَى بَنِى عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمْ ، فَحَانَتِ الصَّلاَةُ ، فَجَاءَ الْمُؤَذِّنُ إِلَى أَبِى بَكْرٍ ، فَقَالَ : أَتُصَلِّى لِلنَّاسِ فَأُقِيمَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالنَّاسُ فِى الصَّلاَةِ ، فَتَخَلَّصَ حَتَّى وَقَفَ فِى الصَّفِّ ، فَصَفَّقَ النَّاسُ - وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ لاَ يَلْتَفِتُ فِى صَلاَتِهِ - فَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ التَّصْفِيقَ الْتَفَتَ ، فَرَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنِ امْكُثْ مَكَانَكَ ، فَرَفَعَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ يَدَيْهِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ عَلَى مَا أَمَرَهُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ ذَلِكَ ، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى اسْتَوَى فِى الصَّفِّ ، وَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ : « يَا أَبَا بَكْرٍ مَا

مَنَعَكَ أَنْ تَثْبُتَ إِذْ أَمَرْتُكَ » ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : مَا كَانَ لابْنِ أَبِـي قُحَافَـةَ أَنْ يُصَلِّيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا لِـي رَأَيْـتُكُمْ أَكْثَرْتُمُ التَّصْفِيقَ ؟ مَنْ رَابَهُ شَيْءٌ فِي صَلاَتِهِ فَلْيُسَبِّحْ ، فَإِنَّهُ إِذَا سَبَّحَ الْتُفِتَ إِلَيْهِ ، وَإِنَّمَا التَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ » .

٢٦٩٣ - وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قال : إِنَّ أَهْلَ قُبَـاءٍ اقْتَتَلُـوا - تخاصموا - حَتَّى تَرَامَوْا بِالْحِجَارَةِ ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ فَقَـالَ : « اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ بَيْنَهُمْ » .

كما حاول صلى الله عليه وسلم أن يصلح بين جابر بن عبد الله وبين اليهود فى دين كان لهم على أبيه ، وسنذكر قصته فى المعجزات الحسـية إن شاء الله .

وكان صلى الله عليه وسلم يعود المرضى وينصحهم ، ويدلهم علـى تقديم الخير ، وعلى ما ينفعهم فى الدنيا والآخرة ، وكان يرقيهم ، ويـدعو لهم .

ففى حجة الوداع مرض سعد بن أبى وقاص بمكة، فعاده الرسول ﷺ ونصحه فى الحديث :

٢٧٤٢ - عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ : جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ يَعُـودُنِي وَأَنَا بِمَكَّةَ ، وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ يَمُوتَ بِالأَرْضِ الَّتِي هَاجَرَ مِنْهَا ، قَالَ : « يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ عَفْرَاءَ » . قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أُوصِي بِمَالِي كُلِّهِ ؟ قَالَ : « لاَ » قُلْتُ : فَالشَّطْرُ ؟ قَالَ : « لاَ » . قُلْتُ : الثُّلُثُ ؟ قَالَ : « فَالثُّلُثُ ، وَالثُّلُـثُ كَثِيرٌ . إِنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فِي أَيْدِيهِمْ ، وَإِنَّكَ مَهْمَا أَنْفَقْتَ مِنْ نَفَقَةٍ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ ، حَتَّى اللُّقْمَـةُ الَّتِـي تَرْفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِكَ ، وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَكَ فَيَنْتَفِعَ بِكَ نَاسٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ » . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ يَوْمَئِذٍ إِلاَّ ابْنَةٌ .

زاد فى رواية : « ثم وضع يده على جبينى ، ثم مسح وجهى وبطنى ، ثم قال : « اللهم اشف سعدًا ، وأتمم له هجرته » . وعاش سعد ، وأنجب من الذكور عشرة ، ومن الإناث ثنتى عشرة بنتًا ﷺ وأرضاه .

ومرض سعد بن عبادة فعاده رسول الله ﷺ ومعه بعض أصحابه ، يحدثنا عن ذلك الحديث :

١٣٠٤ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما - قَالَ : اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاصٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رضى الله عنهم - فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ فِى غَاشِيَةِ أَهْلِهِ - ما يغشى أهله من الكرب والشر والمكروه - **فَقَالَ : « قَدْ قَضَى » ؟** - قد مات ؟ - **قَالُوا : لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَبَكَى النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ بُكَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بَكَوْا ، فَقَالَ : « أَلاَ تَسْمَعُونَ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ ، وَلاَ بِحُزْنِ الْقَلْبِ ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ يَرْحَمُ ، وَإِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ » . وَكَانَ عُمَرُ ﷺ يَضْرِبُ فِيهِ بِالْعَصَا ، وَيَرْمِى بِالْحِجَارَةِ وَيَحْثِى بِالتُّرَابِ .** على العويل وصوت اللسان .

وأقر رسول الله ﷺ عيادة النساء للرجال ، والرجال للنساء ، وشرطها أمن الفتنة ، يحدثنا عن ذلك الحديث :

٣٠٠٧ - عن خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ : إِنَّ أُمَّ الْعَلاَءِ - امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ بَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - أَخْبَرَتْهُ أَنَّهُمُ اقْتَسَمُوا الْمُهَاجِرِينَ قُرْعَةً . قَالَتْ : فَطَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ ، وَأَنْزَلْنَاهُ فِى أَبْيَاتِنَا ، فَوَجِعَ وَجَعَهُ الَّذِى تُوُفِّىَ فِيهِ ، فَلَمَّا تُوُفِّىَ غُسِّلَ وَكُفِّنَ فِى أَثْوَابِهِ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ : رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ ، فَشَهَادَتِى عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللَّهَ أَكْرَمَهُ » ؟ فَقُلْتُ :

بِأَبِى أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللَّهُ ؟ - إذا لم يكرم ابن مظعون - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَمَّا هُوَ فَوَاللَّهِ لَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ ، وَاللَّهِ إِنِّى لأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ ، وَوَاللَّهِ مَا أَدْرِى وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَاذَا يُفْعَلُ بِى » . فَقَالَتْ : وَاللَّهِ لاَ أُزَكِّى بَعْدَهُ أَحَداً أَبَداً .

٣٩٢٦ - وعَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - أَنَّهَا قَالَتْ : لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلاَلٌ - أى مرضا - قَالَتْ - فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمَا ، فَقُلْتُ : يَا أَبَتِ ، كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ وَيَا بِلاَلُ ، كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ قَالَتْ : فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَّى يَقُولُ :

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِى أَهْلِهِ ... وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وَكَانَ بِلاَلٌ إِذَا أَقْلَعَ عَنْهُ الْحُمَّى يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ وَيَقُولُ :

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِى هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِوَادٍ[1] وَحَوْلِى إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ[2]

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْماً مِيَاهَ مَجَنَّةٍ[3] ... وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِى شَامَةٌ وَطَفِيلُ[4]

قَالَتْ عَائِشَةُ : فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ ، وَصَحِّحْهَا وَبَارِكْ لَنَا فِى صَاعِهَا وَمُدِّهَا ، وَانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ » .

ولما أصيب سعد بن معاذ ﷺ أقام رسول الله ﷺ خيمة بالمسجد ليسهل عليه عيادته ، يحدثنا عن ذلك الحديث :

٤١٢٢ - عنْ عائشة - رضى الله عنها - قَالَتْ : أُصِيبَ سَعْدٌ يَوْمَ

---

(١) أى بوادى المقابر .

(٢) نوعان من النبات الهش كالحشائش ، يوضعان حول الميت فى قبره .

(٣) مكان به سوق قريب من مكة .

(٤) وسامة وطفيل جبلان قرب مكة .

الْخَنْدَقِ ، رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ : حِبَّانُ ابْنُ الْعَرِقَةِ ، رَمَاهُ فِى الأَكْحَلِ – عرق فى وسط الذراع – فَضَرَبَ النَّبِىُّ ﷺ خَيْمَةً فِى الْمَسْجِدِ ؛ لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ ، فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْخَنْدَقِ وَضَعَ السِّلاحَ وَاغْتَسَلَ ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام وَهُوَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مِنَ الْغُبَارِ فَقَالَ : قَدْ وَضَعْتَ السِّلاحَ وَاللَّهِ مَا وَضَعْتُهُ، اخْرُجْ إِلَيْهِمْ. قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « فَأَيْنَ » ؟ فَأَشَارَ إِلَى بَنِى قُرَيْظَةَ ، فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ ، فَرَدَّ الْحُكْمَ إِلَى سَعْدٍ ، قَالَ : فَإِنِّى أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ ، وَأَنْ تُسْبَى النِّسَاءُ وَالذُّرِّيَّةُ ، وَأَنْ تُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ . قَالَ هِشَامٌ فَأَخْبَرَنِى أَبِى عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ سَعْدًا قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَىَّ أَنْ أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا رَسُولَكَ ﷺ وَأَخْرَجُوهُ ، اللَّهُمَّ فَإِنِّى أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، فَإِنْ كَانَ بَقِىَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَىْءٌ ، فَأَبْقِنِى لَهُ حَتَّى أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ ، وَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الْحَرْبَ فَافْجُرْهَا ، وَاجْعَلْ مَوْتَتِى فِيهَا . فَانْفَجَرَتْ مِنْ لَبَّتِهِ – اللبة موضع القلادة ويبدو أن الجرح ورم حتى وصل الورم من الذراع إلى الصدر – فَلَمْ يَرُعْهُمْ وَفِى الْمَسْجِدِ خَيْمَةٌ مِنْ بَنِى غِفَارٍ إِلاَّ الدَّمُ يَسِيلُ إِلَيْهِمْ فَقَالُوا : يَا أَهْلَ الْخَيْمَةِ ، مَا هَذَا الَّذِى يَأْتِينَا مِنْ قِبَلِكُمْ ؟ فَإِذَا سَعْدٌ يَغْذُو – ويسيل – جُرْحُهُ دَمًا، فَمَاتَ مِنْهَا رضى الله عنه.

بل كان رسول الله ﷺ يعود المريض الصبى المشرك كما يحكيه لنا الحديث :

١٣٥٦ – عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : كَانَ غُلامٌ يَهُودِىٌّ يَخْدُمُ النَّبِىَّ ﷺ فَمَرِضَ ، فَأَتَاهُ النَّبِىُّ ﷺ يَعُودُهُ ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ : « أَسْلِمْ » . فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ ؛ وَهُوَ عِنْدَهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ . فَأَسْلَم ، فَخَرَجَ النَّبِىُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ » .

ويعود الطفل الصغير ، كما فى الحديث :

٥٦٥٥ - عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ - رضى الله عنهما - أَنَّ ابْنَةً لِلنَّبِىِّ ﷺ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ وَهُوَ مَعَ النَّبِىِّ ﷺ وَسَعْدٍ وَأُبَىٍّ نَحْسِبُ أَنَّ ابْنَتِى قَدْ حُضِرَتْ فَاشْهَدْنَا فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا السَّلاَمَ وَيَقُولُ : « إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَمَا أَعْطَى وَكُلُّ شَىْءٍ عِنْدَهُ مُسَمًّى فَلْتَحْتَسِبْ وَلْتَصْبِرْ » . فَأَرْسَلَتْ تُقْسِمُ عَلَيْهِ ، فَقَامَ النَّبِىُّ ﷺ وَقُمْنَا ، فَرُفِعَ الصَّبِىُّ فِى حَجْرِ النَّبِىِّ ﷺ وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ ، فَفَاضَتْ عَيْنَا ﷺ فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ : مَا هَذَا ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « هَذِهِ رَحْمَةٌ وَضَعَهَا اللَّهُ فِى قُلُوبِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ ، وَلاَ يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ إِلاَّ الرُّحَمَاءَ » .

ويعود الأعرابى الجافى الغليظ ، ويتقبل منه جفوته كما فى الحديث :

٥٦٥٦ - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضى الله عنهما - أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِىٍّ يَعُودُهُ - قَالَ - وَكَانَ النَّبِىُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ فَقَالَ لَهُ : « لاَ بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » . قَالَ : قُلْتَ : طَهُورٌ ؟ كَلاَّ بَلْ هِىَ حُمَّى تَفُورُ - أَوْ تَثُورُ - عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ ، تُزِيرُهُ الْقُبُورَ . فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « فَنَعَمْ إِذاً » .

وكان يرقى المريض بهذه الرقية :

٥٦٧٥ - عَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَتَى مَرِيضاً - أَوْ أُتِىَ بِهِ - قَالَ : « أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِى لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَماً » .

وكان يتبع الجنازة ، أو يقوم لها ، ويقول :

١٣٠٨ - عَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ ﷺ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : « إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ جَنَازَةً ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَاشِياً مَعَهَا فَلْيَقُمْ حَتَّى يُخَلِّفَهَا ، أَوْ تُخَلِّفَهُ أَوْ تُوضَعَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُخَلِّفَهُ » .

١٣١٠ - وعَنْ أَبى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ ﷺ عَنِ النَّبــىِّ ﷺ قَــالَ : « إِذَا رَأَيْتُمُ الْجَنَازَةَ فَقُومُوا ، فَمَنْ تَبِعَهَا فَلا يَقْعُدْ حَتَّى تُوضَعَ » .

وحتى لو لم تكن مسلمة ، ففى الحديث :

١٣١٢ - عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبى لَيْلَى قَالَ : كَانَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ قَاعِدَيْنِ بِالْقَادِسِيَّةِ ، فَمَرُّوا عَلَيْهِمَا بِجَنَازَةٍ فَقَامَـا . فَقِيـلَ لَهُمَا : إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ ، أَىْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ ، فَقَـالاَ : إِنَّ النَّبِـىَّ ﷺ مَرَّتْ بِهِ جَنَازَةٌ ، فَقَامَ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهَا جَنَازَةُ يَهُودِىٍّ . فَقَالَ : « أَلَيْسَـتْ نَفْساً » ؟

وعلم الصحابة أن لقاء الرسول ﷺ يزيد أحكام الشرع قولا وعملا ، وبه يعلم الوحى وما يجد ، فكان من لا يستطيع اللقاء اليومى يتناوب مـع صديق أو جار . ينزل هذه يومًا ، وهذا يومًا ، ويعود بالأخبار كمـا فـى الحديث :

٥١٩١ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رضى الله عنهما - قَالَ : لَمْ أَزَلْ حَرِيصاً أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ عَنِ الْمَرْأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِىِّ ﷺ اللَّتَيْنِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [١] حَتَّى حَجَّ وَحَجَجْتُ مَعَهُ ، وَعَدَلَ وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِإِدَاوَةٍ ، فَتَبَرَّزَ ، ثُمَّ جَاءَ فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنْهَا فَتَوَضَّأَ فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَنِ الْمَرْأَتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِىِّ ﷺ اللَّتَانِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ ؟ قَالَ: واعَجَباً لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، هُمَا عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ. ثُمَّ اسْتَقْبَلَ عُمَرُ الْحَدِيثَ يَسُوقُهُ قَالَ : كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِى مِنَ الأَنْصَارِ فِى

---

(١) سورة التحريم - الآية : ٤ .

بَنِى أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ ، وَهُمْ مِنْ عَوَالِى الْمَدِينَةِ ، وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى النَّبِىِّ ﷺ فَيَنْزِلُ يَوْماً وَأَنْزِلُ يَوْماً ، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِمَا حَدَثَ مِنْ خَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْوَحْىِ أَوْ غَيْرِهِ ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ ...

وتحقيقًا لتربية جيل يحمل رسالة الإسلام وينشرها كان صلى الله عليه وسلم لا يميز نفسه عن أصحابه بمظهر من مظاهر الدنيا ، حتى كان الغريب إذا دخل سأل : أيكم محمد ؟ كما جاء فى الحديث :

٦٣ - عَنْ أَنَسِ بْنَ مَالِكٍ ﷺ قال : بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِىِّ ﷺ فِى الْمَسْجِدِ ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ ، فَأَنَاخَهُ فِى الْمَسْجِدِ ، ثُمَّ عَقَلَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ وَالنَّبِىُّ ﷺ مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ . فَقُلْنَا : هَذَا الرَّجُلُ الأَبْيَضُ الْمُتَّكِئُ . فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِىُّ ﷺ : « قَدْ أَجَبْتُكَ » . فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِىِّ ﷺ : إِنِّى سَائِلُكَ ، فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِى الْمَسْأَلَةِ فَلاَ تَجِدْ عَلَىَّ فِى نَفْسِكَ . فَقَالَ : « سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ » . فَقَالَ : أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، آللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ ؟ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ نَعَمْ » . قَالَ : أَنْشُدُكَ بِاللَّه ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّىَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِى الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ؟ قَالَ : « اللَّهُمَّ نَعَمْ » . قَالَ : أَنْشُدُكَ بِاللَّه ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ ؟ قَالَ : « اللَّهُمَّ نَعَمْ » . قَالَ : أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِه الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَتَقْسِمَها عَلَى فُقَرَائِنَا ؟ فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « اللَّهُمَّ نَعَمْ » . فَقَالَ الرَّجُلُ : آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِه ، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِى مِنْ قَوْمِى ، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِى سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ .

وفى الهجرة لما وصل الرسول ﷺ وأبو بكر المدينة ، وفى قباء قام أبو بكر للناس ، وجلس رسول الله ﷺ صامتًا ، فطفق من جاء من الأنصار - ممن لم ير رسول الله ﷺ - يحيى أبا بكر ، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه ، فعرف الناس

رسول الله ﷺ عند ذلك . انظر الحديث ٣٩٠٦ .

كما رأيناه صلى الله عليه وسلم يشارك أصحابه فى حفر الخندق كواحد منهم ، حتى كان التراب يغطى شعر بطنه صلى الله عليه وسلم ، يصور لنا ذلك الحديث :

٤١٠١ – عَنْ جَابِرٍ ﷺ فَقَالَ : إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ – صخرة – **شَدِيدَةٌ ، فَجَاءُوا النَّبِىَّ ﷺ ، فَقَالُوا : هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِى الْخَنْدَقِ ، فَقَالَ : « أَنَا نَازِلٌ » . ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ ، وَلَبِثْنَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لاَ نَذُوقُ ذَوَاقاً ، فَأَخَذَ النَّبِىُّ ﷺ الْمِعْوَلَ فَضَرَبَ ، فَعَادَ كَثِيباً أَهْيَلَ أَوْ أَهْيَمَ ...**

وكان صلى الله عليه وسلم يدافع عن الغائب منهم إذا تناوله الحاضرون بالتنقيص ، فقد وجدناه يدافع عن مالك بن الدخشم لما وصفه الحاضرون بأنه منافق – الحديث رقم : ٥٤٠١ .

كما وجدناه يدافع عن ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس – رضى الله عنهم – حين ادعى عليهم عمر ﷺ أنهم منعوا الزكاة ، حيث اعتذر عنهم صلى الله عليه وسلم فى الحديث :

١٤٦٨ – عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالصَّدَقَةِ فَقِيلَ : مَنَعَ ابْنُ جَمِيلٍ وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « مَا يَنْقِمُ ابْنُ جَمِيلٍ إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ فَقِيراً فَأَغْنَاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَمَّا خَالِدٌ فَإِنَّكُمْ تَظْلِمُونَ خَالِداً ، قَدِ احْتَبَسَ أَدْرَاعَهُ وَأَعْتُدَهُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ – أى أوقفها – **وَأَمَّا الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَعَمُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَهْىَ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ وَمِثْلُهَا مَعَهَا » .**

كذلك دافع عن حاطب بن أبى بلتعة الذى كتب كتابا لأهل مكة

ينذرهم بغزو الرسول ﷺ لهم فى الحديث :

٦٢٥٩ - عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ : بَعَثَنِى رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ وَأَبَا مَرْثَدٍ الْغَنَوِىَّ وَكُلُّنَا فَارِسٌ ، فَقَالَ : « انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ ، فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَعَهَا صَحِيفَةٌ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِى بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ » . قَالَ : فَأَدْرَكْنَاهَا تَسِيرُ عَلَى جَمَلٍ لَهَا حَيْثُ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ : قُلْنَا : أَيْنَ الْكِتَابُ الَّذِى مَعَكِ ؟ قَالَتْ : مَا مَعِى كِتَابٌ . فَأَنَخْنَا بِهَا ، فَابْتَغَيْنَا فِى رَحْلِهَا فَمَا وَجَدْنَا شَيْئاً ، قَالَ صَاحِبَاىَ : مَا نَرَى كِتَاباً . قَالَ : قُلْتُ : لَقَدْ عَلِمْتُ مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ وَالَّذِى يُحْلَفُ بِهِ لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لأُجَرِّدَنَّكِ . قَالَ : فَلَمَّا رَأَتِ الْجِدَّ مِنِّى أَهْوَتْ بِيَدِهَا إِلَى حُجْزَتِهَا وَهْىَ مُحْتَجِزَةٌ بِكِسَاءٍ ، فَأَخْرَجَتِ الْكِتَابَ - قَالَ - فَانْطَلَقْنَا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « مَا حَمَلَكَ يَا حَاطِبُ عَلَى مَا صَنَعْتَ » ؟ قَالَ : مَا بِى إِلاَّ أَنْ أَكُونَ مُؤْمِناً بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَا غَيَّرْتُ وَلاَ بَدَّلْتُ ، أَرَدْتُ أَنْ تَكُونَ لِى عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهَا عَنْ أَهْلِى وَمَالِى ، وَلَيْسَ مِنْ أَصْحَابِكَ هُنَاكَ إِلاَّ وَلَهُ مَنْ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ . قَالَ : « صَدَقَ فَلاَ تَقُولُوا لَهُ إِلاَّ خَيْراً » . قَالَ : فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ، فَدَعْنِى فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ . قَالَ : فَقَالَ : « يَا عُمَرُ ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ قَد اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ ، فَقَالَ : اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الْجَنَّةُ » . قَالَ : فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ وَقَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

ودافع عن عم سلمة بن الأكوع ، وشهد له بأنه فى الجنة ، وأنه مع الشهداء ، يقص ذلك الحديث :

٦١٤٨ - عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ ﷺ قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ ، فَسِرْنَا لَيْلاً ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ لِعَامِرِ بْنِ الأَكْوَعِ : أَلاَ

تُسْمِعُنَا مِنْ هُنَيْهَاتِكَ - أى من شعرك وحاجاتك - قَالَ : وكَانَ عَامِرٌ رَجُلاً شَاعِراً ، فَنزَلَ يَحْدُو بِالْقَوْمِ يَقُولُ :

اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا

فَاغْفِرْ فِدَاءٌ لَكَ مَا اقْتَفَيْنَا وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا

وَأَلْقِيَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا إِنَّا إِذَا صِيحَ بِنَا أَتَيْنَا

(وَبِالصِّيَاحِ عَوَّلُوا عَلَيْنَا

فَقَالَ رَسُولُ ﷺ : « مَنْ هَذَا السَّائِقُ » ؟ قَالُوا : عَامِرُ بْنُ الأَكْوَعِ . فَقَالَ : « يَرْحَمُهُ اللَّهُ » - يشير إلى أن موته قريب - فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : وَجَبَتْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، لَوْ أَمْتَعْتَنَا بِهِ . قَالَ : فَأَتَيْنَا خَيْبَرَ فَحَاصَرْنَاهُمْ حَتَّى أَصَابَتْنَا مَخْمَصَةٌ شَدِيدَةٌ ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ فَتَحَهَا عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا أَمْسَى النَّاسُ الْيَوْمَ الَّذِى فُتِحَتْ عَلَيْهِمْ أَوْقَدُوا نِيرَاناً كَثِيرَةً . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا هَذِهِ النِّيرَانُ ، عَلَى أَىِّ شَىْءٍ تُوقِدُونَ » ؟ قَالُوا : عَلَى لَحْمٍ . قَالَ « عَلَى أَىِّ لَحْمٍ » ؟ قَالُوا : عَلَى لَحْمِ حُمُرٍ إِنْسِيَّةٍ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَهْرِقُوهَا وَاكْسِرُوهَا » . فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ نُهَرِيقُهَا وَنَغْسِلُهَا ؟ قَالَ : « أَوْ ذَاكَ » . فَلَمَّا تَصَافَّ الْقَوْمُ كَانَ سَيْفُ عَامِرٍ فِيهِ قِصَرٌ ، فَتَنَاوَلَ بِهِ يَهُودِيًّا لِيَضْرِبَهُ ، وَيَرْجِعُ ذُبَابُ سَيْفِهِ ، فَأَصَابَ رُكْبَةَ عَامِرٍ ، فَمَاتَ مِنْهُ ، فَلَمَّا قَفَلُوا قَالَ سَلَمَةُ: رَآنِى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَاحِباً. فَقَالَ لِى : « مَا لَكَ » ؟ فَقُلْتُ : فِدَى لَكَ أَبِى وَأُمِّى ، زَعَمُوا أَنَّ عَامِراً حَبِطَ عَمَلُهُ . قَالَ : « مَنْ قَالَهُ » ؟ قُلْتُ : قَالَهُ فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ وَفُلاَنٌ وَأُسَيْدُ ابْنُ الْحُضَيْرِ الأَنْصَارِىُّ. فَقَالَ رَسُولُ ﷺ : « كَذَبَ مَنْ قَالَهُ ، إِنَّ لَهُ لأَجْرَيْنِ - وَجَمَعَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ - إِنَّهُ لَجَاهِدٌ مُجَاهِدٌ ، قَلَّ عَرَبِىٌّ نَشَأَ بِهَا مِثْلَهُ » .

وأيد سلمان الفارسى فى دعوته أبا الدرداء أن يرتاح من العبادة وقتا ليؤدى فيه حق النفس وحق الضيف وحق الزوج . يقص علينا هذه القصة

الحديث :

١٩٦٨ - عَنْ أَبِى جُحَيْفَةَ قَالَ : آخَى النَّبِىُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ ، وَأَبِى الدَّرْدَاءِ ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً . فَقَالَ لَهَا : مَا شَأْنُكِ ؟ قَالَتْ : أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِى الدُّنْيَا . فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَاماً . فَقَالَ : كُلْ . قَالَ : فَإِنِّى صَائِمٌ . قَالَ : مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ . قَالَ : فَأَكَلَ . فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ . قَالَ : نَمْ . فَنَامَ ، ثُمَّ ذَهَبَ ، يَقُومُ . فَقَالَ : نَمْ . فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ : قُمِ الآنَ . فَصَلَّيَا ، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ : إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، فَأَعْطِ كُلَّ ذِى حَقٍّ حَقَّهُ. فَأَتَى النَّبِىَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « صَدَقَ سَلْمَانُ ».

وأيد الصحابى الذى رقى بالفاتحة ، وأكد هذا التأييد بأكله صلى الله عليه وسلم من أجر هذه الرقية فى الحديث :

٢٢٧٦ - عَنْ أَبِى سَعِيدٍ ﷺ قَالَ : انْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِىِّ ﷺ فِى سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حَىٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَاسْتَضَافُوهُمْ ، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ ، فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَىِّ ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَىْءٍ لاَ يَنْفَعُهُ شَىْءٌ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلاَءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ نَزَلُوا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَىْءٌ ، فَأَتَوْهُمْ ، فَقَالُوا : يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ ، إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ ، وَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَىْءٍ لاَ يَنْفَعُهُ ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ شَىْءٍ ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : نَعَمْ وَاللَّهِ إِنِّى لأَرْقِى ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدِ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا ، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلاً . فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الْغَنَمِ ، فَانْطَلَقَ يَتْفِلُ عَلَيْهِ وَيَقْرَأُ :﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ فَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ ، فَانْطَلَقَ يَمْشِى وَمَا بِهِ قَلَبَةٌ ، قَالَ : فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمُ الَّذِى صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : اقْسِمُوا . فَقَالَ الَّذِى رَقَى لاَ تَفْعَلُوا ،

حَتَّى نَأْتِيَ النَّبِيَّ ﷺ فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِي كَانَ ، فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا . فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى ﷺ فَذَكَرُوا لَهُ ، فَقَالَ : « وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ ؟ ثُمَّ قَالَ: قَدْ أَصَبْتُمْ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْماً » . فَضَحِكَ رَسُولُ ﷺ .

كما أيد أبا قتادة فى حل صيده ، وأكد هذا الحل بان أمر أصحابه أن يأكلوا ما بقى من لحمه فى الحديث :

١٨٢٤ – عن أبى قَتَادَةَ ﷺ قال : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ حَاجًّا ، فَخَرَجُوا مَعَهُ فَصَرَفَ طَائِفَةً مِنْهُمْ – أى إلى جهة يستطلعون فيها الأعداء – فِيهِمْ أَبُو قَتَادَةَ فَقَالَ : خُذُوا سَاحِلَ الْبَحْرِ حَتَّى نَلْتَقِيَ . فَأَخَذُوا سَاحِلَ الْبَحْرِ ، فَلَمَّا انْصَرَفُوا أَحْرَمُوا كُلُّهُمْ إِلاَّ أَبُو قَتَادَةَ لَمْ يُحْرِمْ ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَسِيرُونَ إِذْ رَأَوْا حُمُرَ وَحْشٍ ، فَحَمَلَ أَبُو قَتَادَةَ عَلَى الْحُمُرِ ، فَعَقَرَ مِنْهَا أَتَاناً ، فَنَزَلُوا فَأَكَلُوا مِنْ لَحْمِهَا ، وَقَالُوا : أَنَأْكُلُ لَحْمَ صَيْدٍ وَنَحْنُ مُحْرِمُونَ ، فَحَمَلْنَا مَا بَقِيَ مِنْ لَحْمِ الأَتَانِ ، فَلَمَّا أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا كُنَّا أَحْرَمْنَا وَقَدْ كَانَ أَبُو قَتَادَةَ لَم يُحْرِمْ ، فَرَأَيْنَا حُمُرَ وَحْشٍ ، فَحَمَلَ عَلَيْهَا أَبُو قَتَادَةَ ، فَعَقَرَ مِنْهَا أَتَاناً ، فَنَزَلْنَا فَأَكَلْنَا مِنْ لَحْمِهَا ، ثُمَّ قُلْنَا أَنَأْكُلُ لَحْمَ صَيْدٍ وَنَحْنُ مُحْرِمُونَ ، فَحَمَلْنَا مَا بَقِيَ مِنْ لَحْمِهَا . قَالَ: « مِنْكُمْ أَحَدٌ أَمَرَهُ أَن يَحْمِلَ عَلَيْهَا ، أَوْ أَشَارَ إِلَيْهَا » ؟ قَالُوا: لاَ . قَالَ :« فَكُلُوا مَا بَقِيَ مِنْ لَحْمِهَا ».

ينصر الحق ولو على نفسه ، ويقيم العدل بين الجميع ، كما يصرح بذلك الحديث :

٢٣٩٠ – عن أبى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَجُلاً تَقَاضَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَأَغْلَظَ لَهُ ، فَهَمَّ أَصْحَابُهُ ، فقال : « دَعُوهُ ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالاً . وَاشْتَرُوا لَهُ بَعِيراً ، فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ » . وَقَالُوا : لاَ نَجِدُ إِلاَّ أَفْضَلَ مِنْ سِنِّهِ . قَالَ : « اشْتَرُوهُ فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ ، فَإِنَّ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً » .

يؤيد المسابقة والتدريب على وسائل القتال ، بل ينضم إلى المتسابقين ليرضيهم . يحدثنا عن هذه القصة الحديث :

٣٥٠٧ - عَنْ سَلَمَةَ ﷺ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَسْلَمَ ، يَتَنَاضَلُونَ بِالسُّوقِ ، فَقَالَ : « ارْمُوا بَنِى إِسْمَاعِيلَ ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِياً ، وَأَنَا مَعَ بَنِى فُلاَنٍ » . لأَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ ، فَأَمْسَكُوا بِأَيْدِيهِمْ ، فَقَالَ : « مَا لَهُمْ » . قَالُوا : وَكَيْفَ نَرْمِى وَ أَنْتَ مَعَ بَنِى فُلاَنٍ ؟ قَالَ : « ارْمُوا وَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ » .

فى مجاعة يشترى شاة من مشرك ؛ ليطعم أصحابه ، ويقوم بتقطيعها بنفسه ، يحدثنا عن هذه القصة الحديث :

٢٦١٨ - عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِى بَكْرٍ - رضى الله عنهما - قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِىِّ ﷺ ثَلاَثِينَ وَمِائَةً ، فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « هَلْ مَعَ أَحَدٍ مِنْكُمْ طَعَامٌ » ؟ فَإِذَا مَعَ رَجُلٍ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ أَوْ نَحْوُهُ ، فَعُجِنَ ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ مُشْعَانٌّ طَوِيلٌ بِغَنَمٍ يَسُوقُهَا ، فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « بَيْعاً أَمْ عَطِيَّةً - أَوْ قَالَ - أَمْ هِبَةً » . قَالَ : لاَ ، بَلْ بَيْعٌ . فَاشْتَرَى مِنْهُ شَاةً ، فَصُنِعَتْ وَأَمَرَ النَّبِىُّ ﷺ بِسَوَادِ الْبَطْنِ أَنْ يُشْوَى ، وَايْمُ اللَّهِ مَا فِى الثَّلاَثِينَ وَالْمِائَةِ إِلاَّ قَدْ حَزَّ النَّبِىُّ ﷺ لَهُ حُزَّةً مِنْ سَوَادِ بَطْنِهَا ، إِنْ كَانَ شَاهِداً أَعْطَاهَا إِيَّاهُ ، وَإِنْ كَانَ غَائِباً خَبَأَ لَهُ ، فَجَعَلَ مِنْهَا قَصْعَتَيْنِ ، فَأَكَلُوا أَجْمَعُونَ ، وَشَبِعْنَا ، فَفَضَلَتِ الْقَصْعَتَانِ ، فَحَمَلْنَاهُ عَلَى الْبَعِيرِ . أَوْ كَمَا قَالَ .

يوزع العطايا على الحاضرين ، ولا ينسى الغائبين ، بل يحتفظ لهم بحقهم ، ويخبئه حتى يلقاهم ، يصور لنا هذه القصة الحديث :

٣١٢٧ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِى مُلَيْكَةَ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ أُهْدِيَتْ لَهُ أَقْبِيَةٌ مِنْ دِيبَاجٍ مُزَرَّرَةٌ بِالذَّهَبِ ، فَقَسَمَهَا فِى نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَعَزَلَ مِنْهَا وَاحِداً لِمَخْرَمَةَ بْنِ نَوْفَلٍ ، فَجَاءَ وَمَعَهُ ابْنُهُ الْمِسْوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ ، فَقَامَ عَلَى

الْبَابِ ، فَقَالَ : ادْعُهُ لِى . فَسَمِعَ النَّبِىُّ ﷺ صَوْتَهُ فَأَخَذَ قَبَاءً ، فَتَلَقَّاهُ بِهِ ، وَاسْتَقْبَلَهُ بِأَزْرَارِهِ ، فَقَالَ : « يَا أَبَا الْمِسْوَرِ ، خَبَأْتُ هَذَا لَكَ ، يَا أَبَا الْمِسْوَرِ ، خَبَأْتُ هَذَا لَكَ » . وَكَانَ فِى خُلُقِهِ شِدَّةٌ . وَرَوَاهُ ابْنُ عُلَيَّةَ عَنْ أَيُّوبَ . قَالَ : حَاتِمُ بْنُ وَرْدَانَ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنِ ابْنِ أَبِى مُلَيْكَةَ عَنِ الْمِسْوَرِ قَدِمَتْ عَلَى النَّبِىِّ ﷺ أَقْبِيَةٌ . تَابَعَهُ اللَّيْثُ عَنِ ابْنِ أَبِى مُلَيْكَةَ .

يراعى مصلحة قومه ، وفى مجاعة يأمر من ضحى منهم أن لا يدخر من لحم أضحيته فوق ثلاث ليال ، بل يتصدق ، ويهدى ما بقى فى بيته بعدها ، صورة فريدة لم تسبق ولن تلحق للتكافل الاجتماعى ، فلما انتهت المجاعة أذن لكل من ضحى أن يأكل وأن يتصدق وأن يدخر كيف شاء ، حرية شخصية ، فى ملكية فردية ، يقص لنا هذه القصة الحديث :

٥٥٦٩ - عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « مَنْ ضَحَّى مِنْكُمْ فَلاَ يُصْبِحَنَّ بَعْدَ ثَالِثَةٍ وَفِى بَيْتِهِ مِنْهُ شَىْءٌ » . فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، نَفْعَلُ كَمَا فَعَلْنَا عَامَ الْمَاضِى ؟ قَالَ : « كُلُوا وَأَطْعِمُوا وَادَّخِرُوا فَإِنَّ ذَلِكَ الْعَامَ كَانَ بِالنَّاسِ جَهْدٌ ، فَأَرَدْتُ أَنْ تُعِينُوا فِيهَا » .

كان صلى الله عليه وسلم يقبل من المقل فى النوافل إقلاله ، حتى يتمكن الإيمان من قلبه ، فالدين يسر ، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها ، يصور لنا هذه الصورة الحديث :

٤٦ - عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ، ثَائِرُ الرَّأْسِ ، يُسْمَعُ دَوِىُّ صَوْتِهِ ، وَلاَ يُفْقَهُ مَا يَقُولُ حَتَّى دَنَا ، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الإِسْلاَمِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِى الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ » . فَقَالَ : هَلْ عَلَىَّ غَيْرُهَا ؟ قَالَ : « لاَ ، إِلاَّ أَنْ تَطَوَّعَ » . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَصِيَامُ رَمَضَانَ » . قَالَ :

هَلْ عَلَىَّ غَيْرُهُ ؟ قَالَ : «لاَ ، إلاَّ أَنْ تَطَوَّعَ». قَالَ : وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الزَّكَاةَ . قَالَ : هَلْ عَلَىَّ غَيْرُهَا ؟ قَالَ : « لاَ ، إلاَّ أَنْ تَطَوَّعَ » . قَالَ : فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ : وَاللَّهِ لاَ أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلاَ أَنْقُصُ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ » .

كما يصرح ويمدح من يزيد من النوافل ومن يزيد من الثناء على الله في الحديثين:

٧٩٩ - عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِىِّ ﷺ قَالَ : كُنَّا يَوْماً نُصَلِّى وَرَاءَ النَّبِىِّ ﷺ ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ قَالَ : « سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ » . قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ : رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ ، حَمْداً كَثِيراً طَيِّباً مُبَارَكاً فِيهِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ : « مَنِ الْمُتَكَلِّمُ » ؟ قَالَ : أَنَا . قَالَ : « رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلاَثِينَ مَلَكاً يَبْتَدِرُونَهَا ، أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ » .

٧٧٤ م - عَنْ أَنَسٍ ﷺ كَانَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ يَؤُمُّهُمْ فِى مَسْجِدِ قُبَاءٍ ، وَكَانَ كُلَّمَا افْتَتَحَ سُورَةً يَقْرَأُ بِهَا لَهُمْ فِى الصَّلاَةِ مِمَّا يَقْرَأُ بِهِ افْتَتَحَ بِـ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ﴾ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا ، ثُمَّ يَقْرَأُ سُورَةً أُخْرَى مَعَهَا ، وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِى كُلِّ رَكْعَةٍ ، فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا إِنَّكَ تَفْتَتِحُ بِهَذِهِ السُّورَةِ ، ثُمَّ لاَ تَرَى أَنَّهَا تُجْزِئُكَ حَتَّى تَقْرَأَ بِأُخْرَى ، فَإِمَّا أَنْ تَقْرَأَ بِهَا وَإِمَّا أَنْ تَدَعَهَا وَتَقْرَأَ بِأُخْرَى . فَقَالَ : مَا أَنَا بِتَارِكِهَا ، إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أَؤُمَّكُمْ بِذَلِكَ فَعَلْتُ ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ . وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ ، وَكَرِهُوا أَنْ يَؤُمَّهُمْ غَيْرُهُ ، فَلَمَّا أَتَاهُمُ النَّبِىُّ ﷺ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ فَقَالَ « يَا فُلاَنُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ وَمَا يَحْمِلُكَ عَلَى لُزُومِ هَذِهِ السُّورَةِ فِى كُلِّ رَكْعَةٍ » . فَقَالَ إِنِّى أُحِبُّهَا . فَقَالَ : « حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ » .

ويبشر بالجنة من أعلمه ربه بأنه من أهل الجنة ؛ لإدخال السرور

عليهم ، وليقتدى بهم فى أعمال الخير من يقتدى ، وقد يبشر الأحياء بمصير آبائهم من الأموات ، كما يشير جابر بن عبد الله بأبيه فى الحديث :

١٢٩٣ - عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رضى الله عنهما - قَالَ : جِيءَ بِأَبِى يَوْمَ أُحُد ، قَدْ مُثِّلَ بِهِ حَتَّى وُضِعَ بَيْنَ يَدَىْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ سُجِّىَ ثَوْباً ، فَذَهَبْتُ أُرِيدُ أَنْ أَكْشِفَ عَنْهُ فَنَهَانِى قَوْمِى ، ثُمَّ ذَهَبْتُ أَكْشِفُ عَنْهُ فَنَهَانِى قَوْمِى ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَرُفِعَ ، فَسَمِعَ صَوْتَ صَائِحَةٍ ، فَقَالَ : « مَنْ هَذِهِ » ؟ فَقَالُوا : ابْنَةُ عَمْرٍو أَوْ أُخْتُ عَمْرٍو . قَالَ : « فَلِمَ تَبْكِى ؟ أَوْ لاَ تَبْكِى ، فَمَا زَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رُفِعَ » .

٢٨١٦ - وعن جَابِرٍ ﷺ قال : جِيءَ بِأَبِى إِلَى النَّبِىِّ ﷺ وَقَدْ مُثِّلَ بِهِ وَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَذَهَبْتُ أَكْشِفُ عَنْ وَجْهِهِ ، فَنَهَانِى قَوْمِى ، فَسَمِعَ صَوْتَ صَائِحَةٍ ، فَقِيلَ : ابْنَةُ عَمْرٍو ، أَوْ أُخْتُ عَمْرٍو . فَقَالَ : « لِمَ تَبْكِى أَوْ لاَ تَبْكِى ، مَا زَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا » . قُلْتُ : لِصَدَقَةَ أَفِيهِ حَتَّى رُفِعَ قَالَ رُبَّمَا قَالَهُ .

وعن جابر ﷺ قال : قال لى رسول الله ﷺ : ألا أخبرك ما قال الله لأبيك ؟ قال : يا عبد الله . تمنَّ على أعطك . قال : يا رب . تحيينى فأقتل فيك ثانية . قال : إنه سبق منى أنهم إليها لا يرجعون » أخرجه الترمذى وصححه .

يسمع شكوى القحط ، وهو يخطب الجمعة ، فيدعو الله السقيا ، فتمطر السماء سبعة أيام ، فيشكو الرجل الطريق ، فيدعو الرسول ربه ، فيتحول المطر على الجبال .

وفى السفر يتقدم تارة ليطمئن على سلامة المقدمة ، ويتأخر عن الجيش تارة ليطمئن على الضعفاء ويصحبهم ويطمئنهم ، كما فى حديث جابر بن عبد الله برواياته المتعددة . نورد أكثرها ؛ لأنها يكمل بعضها

بعضًا .

٤٤٣ - **عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ** - قَالَ مسْعَرٌ أُرَاهُ قَالَ ضُحًى - **فَقَالَ : « صَلِّ رَكْعَتَيْنِ »** . **وَكَانَ لِى عَلَيْهِ دَيْنٌ ، فَقَضَانِى** - دفع لى دينى - **وَزَادَنِى** .

١٨٠١ - **عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَطْرُقَ** - المسافر - **أَهْلَهُ لَيْلاً** .

٢٠٩٧ - بلفظ : **كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ** - قيل غزوة ذات الرقاع - **فَأَبْطَأَ بِى جَمَلِى وَأَعْيَا** - تعب ، وفى رواية : « فأراد أن يسيبه » أى يطلقه فى الصحراء - **فَأَتَى عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : « جَابِرٌ » ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ. قَالَ : « مَا شَأْنُكَ »؟ قُلْتُ : أَبْطَأَ عَلَيَّ جَمَلِى وَأَعْيَا ، فَتَخَلَّفْتُ** - حتى ذهب الناس - **فَنَزَلَ يَحْجُنُهُ بِمِحْجَنِهِ** - المحجن عصا معكوفة الطرف ، والمعنى يطعنه بعصاه التى معه - **ثُمَّ قَالَ : « ارْكَبْ »** . **فَرَكِبْتُ ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ أَكُفُّهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** - فى رواية لمسلم « فكنت بعد ذلك أحبس خطامه لأسمع حديثه » أى كنت أحد من جريه لئلا يسبق ناقة رسول الله ﷺ فلا أسمع حديثه - **قَالَ : « تَزَوَّجْتَ » ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : « بِكْراً أَمْ ثَيِّباً » ؟ قُلْتُ : بَلْ ثَيِّباً . قَالَ : « أَفَلاَ** - تزوجت - **جَارِيَةً تُلاَعِبُهَا وَتُلاَعِبُكَ » ؟ قُلْتُ : إِنَّ لِى أَخَوَاتٍ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ امْرَأَةً تَجْمَعُهُنَّ ، وَتَمْشُطُهُنَّ ، وَتَقُومُ عَلَيْهِنَّ . قَالَ : « أَمَّا إِنَّكَ قَادِمٌ** - على مشاكل الزوجة والأخوات - **فَإِذَا قَدِمْتَ** - ووصلت وسمعت الشكاوى - **فَالْكَيْسَ الْكَيْسَ »** - فالزم الحكمة والذكاء - عجبًا لهذه المسامرة والمؤانسة من القائد الأعظم إلى شاب من عامة الجنود فى أخص شئون حياته ؟ ثم زاده أنسًا وترغيبًا فى جمله - **قَالَ : « أَتَبِيعُ جَمَلَكَ » ؟** - هذا فى رواية « قلت : هو لك يا رسول الله . قال : لا . بعنيه » - **قُلْتُ : نَعَمْ . فَاشْتَرَاهُ**

منِّى بِأُوقِيَّةٍ – من ذهب ، وهى أكثر من ثمنه الحقيقى – **ثُمَّ قَدِمَ** – وصل **رَسُولُ اللَّهِ ﷺ** – إلى المدينة – **قَبْلِى ، وَقَدِمْتُ بِالْغَدَاةِ** – ضحى – **فَجِئْنَا إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَوَجَدْتُهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ ، قَالَ** : « **الآنَ قَدِمْتَ** » ؟ **قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ** : « **فَدَعْ جَمَلَكَ ، فَادْخُلْ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ** » . **فَدَخَلْتُ ، فَصَلَّيْتُ ، فَأَمَرَ بِلالاً أَنْ يَزِنَ لَهُ أُوقِيَّةً . فَوَزَنَ لِى بِلالٌ ، فَأَرْجَحَ فِى الْمِيزَانِ** – وفى رواية : « وزادنى قيراطًا » – **فَانْطَلَقْتُ حَتَّى وَلَّيْتُ** – فى رواية « فدخلت المسجد وعقلت الجمل ، فقلت له : هذا جملك ، فجعل يطيف بالجمل ، ويقول : جملنا جملنا ، ونقدنى ثمنه ، وانصرفت ، وبعد أن وصلت إلى بيتى – **فَقَالَ** : « **ادْعُ لِى جَابِراً** » – وجاءنى الرسول يدعونى – **قُلْتُ** – فى نفسى – **الآنَ يَرُدُّ عَلَىَّ الْجَمَلَ ، وَلَمْ يَكُنْ شَىْءٌ أَبْغَضَ إِلَىَّ مِنْهُ** – أبغض إلىَّ من رده ؛ لأننى كنت قد رسمت فى نفسى أن اشترى من الأوقية جملا أحسن منه ، ويفيض لى مبلغًا أدفعه من دين أبى الذى استشهد فى أحد ، عليه دين ليهود ، فلما وصلت إليه – **قَالَ** : « **خُذْ جَمَلَكَ وَلَكَ ثَمَنُهُ** » . فى رواية : « خذ جملك وثمنه فهما لك » وفى رواية « فلما أتيته دفع إلى البعير ، وقال : هو لك ، فمررت برجل من اليهود ، فأخبرته ، فجعل يعجب ، ويضرب كفًا على كفٍّ ، ويقول : اشترى منك البعير ، ودفع إليك الثمن ، ثم وهبه لك ؟ قلت : نعم . قال : عجبًا .

٢٣٠٩ – وتحت باب إذا وكل رجلا أن يعطى شيئًا ، ولم يبين كم يعطى ، فأعطى على ما يتعارفه الناس فهو جائز ، فقد قال صلى الله عليه وسلم لبلال : وزده ، فزاده قيراطًا .

بلفظ : كُنْتُ مَعَ النَّبِىِّ ﷺ فِى سَفَرٍ ، فَكُنْتُ عَلَى جَمَلٍ ثِفَالٍ – بفتح الثاء والفاء بطيء السير – **إِنَّمَا هُوَ فِى آخِرِ الْقَوْمِ ، فَمَرَّ بِى النَّبِىُّ ﷺ ، فَقَالَ** : « **مَنْ هَذَا** » ؟ **قُلْتُ : جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ . قَالَ** : « **مَا لَكَ** » ؟

قُلْتُ : إِنِّى عَلَى جَمَلٍ ثَفَالٍ . قَالَ : « أَمعَكَ قَضِيبٌ » ؟ – عصا – قُلْـتُ : نَعَمْ . قَالَ : « أَعْطِنِيهِ » ، فَأَعْطَيْتُهُ ، فَضَرَبَهُ ، فَزَجَرَهُ – يحتمل أن عصا جابر هى المحجن فى الحديث ٢٠٩٧ ، وأضيف هناك إلـى الرسـول ﷺ إضافة حيازة ، ويحتمل ان المحجن ملك رسول الله ﷺ ونخسه به وضربه بالعصا – فَكَانَ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ – أى بدءًا من ذلك – مِـنْ أَوَّلِ الْقَـوْمِ . قَالَ : « بِعْنِيه » ، فَقُلْتُ : بَلْ هُوَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « بِعْنِيهِ . قَـدْ أَخَذْتُهُ بِأَرْبَعَةِ دَنَانِيرَ – هى قيمة الأوقية من الذهب – وَلَكَ ظَهْرُهُ – ركوبه – إِلَى الْمَدِينَةِ » . فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ أَخَذْتُ أَرْتَحِلُ – وأتقدم متعجلا – قَالَ : « أَيْنَ تُرِيدُ » . قُلْتُ : تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً قَدْ خَلاَ مِنْهَا – أى خلا شبابها ومضى ، وذهب منها التدلل ، وأصبحت حريصة على الإسراع والرغبـة فى الرجال – قَالَ : « فَهَلاَّ – تزوجت – جَارِيَةً تُلاَعِبُهَـا وَتُلاَعِبُـكَ » . قُلْتُ : إِنَّ أَبِى تُوُفِّىَ وَتَرَكَ بَنَاتٍ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَنْكِحَ امْـرَأَةً قَـدْ جَرَّبَـتْ – المعايشة والخدمة – خَلاَ مِنْهَا – الطيش والسذاجة – قَـالَ « فَـذَلِكَ » – حسن – فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ قَالَ : « يَا بِلاَلُ . اقْضِـهِ وَزِدْهُ » . فَأَعْطَـاهُ أَرْبَعَةَ دَنَانِيرَ ، وَزَادَهُ قِيرَاطاً . قَالَ جَابِرٌ لاَ تُفَارِقُنِى زِيَادَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ – تبركًا بها – فَلَمْ يَكُنِ الْقِيرَاطُ يُفَارِقُ جِرَابَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّـهِ . زاد فـى رواية : « فأخذه أهل الشام يوم الحرة » يوم حربهم ابن الزبير وانتصارهم على أتباعه فى المدينة ، واستباحتهم المدينة ثلاثة أيام .

٢٣٨٥ – وبلفظ : غَزَوْتُ مَعَ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : « كَيْفَ تَرَى بَعِيـرَكَ أَتَبِيعُنِيهِ » ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . فَبِعْتُهُ إِيَّاهُ ، فَلَمَّا قَـدِمَ الْمَدِينَـةَ غَـدَوْتُ إِلَيْـهِ بِالْبَعِيرِ ، فَأَعْطَانِى ثَمَنَهُ . فالنبى ﷺ اشترى وهو فى الطريق ، ونقده ثمنه بعد الوصول .

٢٣٩٤ – وبلفظ : أَتَيْتُ النَّبِىَّ ﷺ وَهُوَ فِى الْمَسْجِدِ – ضحى – فَقَال

« صَلِّ رَكْعَتَيْنِ » . وكَانَ لِى عَلَيْهِ دَيْنٌ فَقَضَانِى وَزَادَنِى .

٢٤٠٦ – وبلفظ : غَزَوْتُ مَعَ النَّبِىِّ ﷺ عَلَى نَاضِحٍ لَنَا – على جمل كنا نسقى عليه – فَأَزْحَفَ الْجَمَلُ – كلَّ وتعب وأعيا –فَتَخَلَّفَ عَلَىَّ فَوَكَزَهُ صلى الله عليه وسلم مِنْ خَلْفِهِ ، قَالَ : « بِعْنِيهِ وَلَكَ ظَهْرُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ». فَلَمَّا دَنَوْنَا اسْتَأْذَنْتُ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّى حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ . قَالَ صلى الله عليه وسلم : « فَمَا تَزَوَّجْتَ بِكْراً أَمْ ثَيِّباً » ؟ قُلْتُ : ثَيِّباً ، أُصِيبَ عَبْدُ اللَّهِ ، وَتَرَكَ جَوَارِىَ صِغَاراً ، فَتَزَوَّجْتُ ثَيِّباً تُعَلِّمُهُنَّ وَتُؤَدِّبُهُنَّ ، ثُمَّ قَالَ : « ائْتِ أَهْلَكَ » . فَقَدِمْتُ ، فَأَخْبَرْتُ خَالِى بِبَيْعِ الْجَمَلِ فَلامَنِى ، فَأَخْبَرْتُهُ بِإِعْيَاءِ الْجَمَلِ ، وَبِالَّذِى كَانَ مِنَ النَّبِىِّ ﷺ وَوَكْزِهِ إِيَّاهُ ، فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِىُّ ﷺ غَدَوْتُ إِلَيْهِ بِالْجَمَلِ ، فَأَعْطَانِى ثَمَنَ الْجَمَلِ ، وَالْجَمَلَ ، وَسَهْمِى مَعَ الْقَوْمِ – من غنائم الغزوة .

٢٤٧٠ – وبلفظ : دَخَلَ النَّبِىُّ ﷺ الْمَسْجِدَ ، فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ ، وَعَقَلْتُ الْجَمَلَ فِى نَاحِيَةِ الْبَلاطِ – حجارة كانت مفروشة عند باب المسجد ، والحديث واضح فى جواز ربط البعير ونحوه عند باب المسجد ، إذا لم يتضرر به أحد – فَقُلْتُ هَذَا جَمَلُكَ . فَخَرَجَ فَجَعَلَ يُطِيفُ بِالْجَمَلِ قَالَ : « الثَّمَنُ وَالْجَمَلُ لَكَ » .

٢٦٠٣ – وبلفظ : أَتَيْتُ النَّبِىَّ ﷺ فِى الْمَسْجِدِ فَقَضَانِى وَزَادَنِى . وهذه الزيادة ذهب مقبوضة .

٢٦٠٤ – وبلفظ : بِعْتُ مِنَ النَّبِىِّ ﷺ بَعِيراً فِى سَفَرٍ ، فَلَمَّا أَتَيْنَا الْمَدِينَةَ قَالَ : « ائْتِ الْمَسْجِدَ ، فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ » . فَوَزَنَ – وفى رواية : فَوَزَنَ لِى فَأَرْجَحَ ، فَمَا زَالَ مِنْهَا شَىْءٌ حَتَّى أَصَابَهَا أَهْلُ الشَّأْمِ يَوْمَ الْحَرَّةِ.

٢٧١٨ – وبلفظ : كَانَ يَسِيرُ عَلَى جَمَلٍ لَهُ قَدْ أَعْيَا ، فَمَرَّ النَّبِىُّ ﷺ

فضَرَبَهُ ، فَدَعَا لَهُ ، فَسَارَ بِسَيْرٍ لَيْسَ يَسِيرُ مِثْلَهُ ، ثُـمَّ قَـالَ : « بِعْنِيـهِ بِوَقِيَّةٍ » ؟ قُلْتُ : لاَ . ثُمَّ قَالَ : « بِعْنِيهِ بِوَقِيَّـةٍ » . فَبِعْتُـهُ ، فَاسْـتَثْنَيْتُ حُمْلاَنَهُ إِلَى أَهْلِى ، فَلَمَّا قَدِمْنَا أَتَيْتُهُ بِالْجَمَلِ ، وَنَقَدَنِى ثَمَنَهُ ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ ، فَأَرْسَلَ عَلَى إِثْرِى ، قَالَ : « مَا كُنْتُ لآخُذَ جَمَلَكَ ، فَخُذْ جَمَلَكَ ذَلِـكَ فَهْـوَ مَالُكَ » .

وفى رواية : « أَفْقَرَنِى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ظَهْـرَهُ إِلَـى الْمَدِينَـةِ » أى حملنى على فقاره وهى عظام ظهره ، وفى رواية : « لَـكَ ظَهْـرُهُ إِلَـى الْمَدِينَةِ » . وفى رواية : « شَرَطَ ظَهْرَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ » . وفـى روايـة : « وَلَكَ ظَهْرُهُ حَتَّى تَرْجِعَ » . وفى رواية : « أَفْقَرْنَاكَ ظَهْرَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ » وفى رواية : « تَبَلَّغْ عَلَيْهِ إِلَى أَهْلِكَ » قـال أبـو عبـد الله البخـارى : الاِشْتِرَاطُ أَكْثَرُ وَأَصَحُّ عِنْدِى .

٢٨٦١ – وبلفظ : فَلَمَّا أَنْ أَقْبَلْنَا قَالَ النَّبِـىُّ ﷺ : « مَـنْ أَحَـبَّ أَنْ يَتَعَجَّلَ إِلَى أَهْلِهِ فَلْيُعَجِّلْ » . قَالَ جَابِرٌ : فَأَقْبَلْنَا وَأَنَا عَلَى جَمَلٍ لِى أَرْمَكَ – أى يخالط حمرته سواد – لَيْسَ فِيهِ شِيَةٌ – ليس فيه علامـة – وَالنَّـاسُ خَلْفِى ، فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ قَامَ عَلَىَّ ، فَقَالَ لِـى النَّبِـىُّ ﷺ : « يَـا جَـابِرُ اسْتَمْسِكْ » . فَضَرَبَهُ بِسَوْطِهِ ضَرْبَةً ، فَوَثَبَ الْبَعِيرُ مَكَانَهُ . فَقَالَ : « أَتَبِيعُ الْجَمَلَ » ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَدَخَلَ النَّبِىُّ ﷺ الْمَسْـجِدَ فِـى طَوَائِفِ أَصْحَابِهِ ، فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ ، وَعَقَلْتُ الْجَمَلَ فِى نَاحِيَةِ الْبَلاَطِ . فَقُلْـتُ لَهُ : هَذَا جَمَلُكَ . فَخَرَجَ ، فَجَعَلَ يُطِيفُ بِالْجَمَلِ وَيَقُولُ : « الْجَمَلُ جَمَلُنَا » . فَبَعَثَ النَّبِىُّ ﷺ أَوَاقٍ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ : « أَعْطُوهَا جَـابِراً » . ثُـمَّ قَـالَ : « اسْتَوْفَيْتَ الثَّمَنَ » ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : « الثَّمَنُ وَالْجَمَلُ لَكَ » .

٢٩٦٧ – وتحت استئـذان الرجل الإمـام بلفـظ : غَـزَوْتُ مَـعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : فَتَلاَحَقَ بِى النَّبِىُّ ﷺ – أى حاول اللحاق بى فلحقنى ،

فَـلاَ يَكَادُ يَسِيرُ ، فَقَالَ لِى : « مَا لِبَعِيرِكَ » ؟ قَالَ : قُلْتُ : عَيِىَ . قَالَ : فَتَخَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ – أى اتجه خلف البعير – فَزَجَرَهُ – بالمحجن والعصا – وَدَعَا لَهُ ، فَمَا زَالَ بَيْنَ يَدَىِ الإِبِلِ – فأصبح وظل أمامها – قُدَّامَهَا يَسِيرُ . فَقَالَ لِى : « كَيْفَ تَرَى بَعِيرَكَ » الآن ؟ قَالَ : قُلْتُ : بِخَيْرٍ ، قَدْ أَصَابَتْهُ بَرَكَتُكَ . قَالَ : « أَفَتَبِيعُنِيهِ » . قَالَ : كنت أريد أن أقول :لا – فَاسْتَحْيَيْتُ ، وَلَمْ يَكُنْ لَنَا نَاضِحٌ – يحمل إلينا الماء – غَيْرَهُ ، قَالَ : فَقُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ « فَبِعْنِيه » . فَبِعْتُهُ إِيَّاهُ عَلَى أَنَّ لِى فَقَارَ ظَهْرِهِ – أى ركوبه – حَتَّى أَبْلُغَ الْمَدِينَةَ . قَالَ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّى عَرُوسٌ ، فَاسْتَأْذَنْتُهُ – فى الإسراع والسبق – فَأَذِنَ لِى – وهذا هو شاهد ذكر الحديث هنا – فَتَقَدَّمْتُ النَّاسَ إِلَى الْمَدِينَةِ حَتَّى أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ – قريب دارى – فَلَقِيَنِى خَالِى – ورأى البعير بحالة جيدة غير التى كان عليها – فَسَأَلَنِى عَنِ الْبَعِيرِ ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا صَنَعْتُ فِيهِ فَلاَمَنِى – على بيعه مع شدة الحاجة إليه – قَالَ : وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِى حِينَ اسْتَأْذَنْتُهُ : « هَلْ تَزَوَّجْتَ بِكْراً أَمْ ثَيِّباً » ؟ فَقُلْتُ : تَزَوَّجْتُ ثَيِّباً . فَقَالَ : « هَلاَّ تَزَوَّجْتَ بِكْراً تُلاَعِبُهَا وَتُلاَعِبُكَ » ؟ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تُوُفِّىَ وَالِدِى – أو اسْتُشْهِدَ – وَلِى أَخَوَاتٌ صِغَارٌ ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ مِثْلَهُنَّ ، فَلاَ تُؤَدِّبُهُنَّ ، وَلاَ تَقُومُ عَلَيْهِنَّ ، فَتَزَوَّجْتُ ثَيِّباً لِتَقُومَ عَلَيْهِنَّ وَتُؤَدِّبَهُنَّ . قَالَ : فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ غَدَوْتُ عَلَيْهِ بِالْبَعِيرِ ، فَأَعْطَانِى ثَمَنَهُ وَرَدَّهُ عَلَىَّ .

قَالَ الْمُغِيرَةُ – الراوى عن جابر : هَذَا – دفع الثمن ورد البعير – فِى قَضَائِنَا حَسَنٌ ، لاَ نَرَى بِهِ بَأْساً . وهو كذلك فقهًا .

٣٠٨٧ – وبلفظ : كُنْتُ مَعَ النَّبِىِّ ﷺ فِى سَفَرٍ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ قَالَ لِى : « ادْخُلِ الْمَسْجِدَ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ » .

٣٠٨٩ – وبلفظ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَحَرَ جَزُوراً – ولد الإبل – أَوْ بَقَرَةً . وفى رواية عن جابر : اشْتَرَى مِنِّى النَّبِىُّ ﷺ بَعِيراً بِوَقِيَّتَيْنِ – الرواية المعتمدة بأوقية – وَدِرْهَمٍ أَوْ دِرْهَمَيْنِ – المعتمد "درهم" من غير شك – فَلَمَّا قَدِمَ صِرَاراً – موضع بظاهر المدينة ، بينه وبينها آنذاك ثلاثة أميال – أَمَرَ بِبَقَرَةٍ ، فَذُبِحَتْ ، فَأَكَلُوا مِنْهَا ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ أَمَرَنِى أَنْ آتِىَ الْمَسْجِدَ فَأُصَلِّىَ رَكْعَتَيْنِ ، وَوَزَنَ لِى ثَمَنَ الْبَعِيرِ .

٤٠٥٢ – وبلفظ مختصر وفيه : إِنَّ أَبِى قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ تِسْعَ بَنَاتٍ كُنَّ لِى تِسْعَ أَخَوَاتٍ ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَجْمَعَ إِلَيْهِنَّ جَارِيَةً خَرْقَاءَ مِثْلَهُنَّ ، وَلَكِنِ امْرَأَةً تَمْشُطُهُنَّ وَتَقُومُ عَلَيْهِنَّ . قَالَ : « أَصَبْتَ » .

٥٠٧٩ – وبلفظ : قَفَلْنَا مَعَ النَّبِىِّ ﷺ مِنْ غَزْوَةٍ فَتَعَجَّلْتُ عَلَى بَعِيرٍ لِى قَطُوفٍ – سيئ السير بطيء – فَلَحِقَنِى رَاكِبٌ مِنْ خَلْفِى ، فَنَخَسَ بَعِيرِى بِعَنَزَةٍ – عصا صغيرة – كَانَتْ مَعَهُ ، فَانْطَلَقَ بَعِيرِى كَأَجْوَدِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنَ الإِبِلِ ، فَإِذَا النَّبِىُّ ﷺ فَقَالَ : « مَا يُعْجِلُكَ » . قُلْتُ : كُنْتُ حَدِيثَ عَهْدٍ بِعُرُسٍ . قَالَ : « بِكْراً أَمْ ثَيِّباً » ؟ قُلْتُ : ثَيِّبٌ . قَالَ « فَهَلاَّ جَارِيَةً تُلاَعِبُهَا وَتُلاَعِبُكَ » ؟ فى هذه الرواية ترغيب فى تزويج البكر ، وليس فيها استحسان تزويج الثيب للحاجة ، وكان المناسب فى الرواية رقم : ٤٠٥٩ – قَالَ : فَلَمَّا ذَهَبْنَا لِنَدْخُلَ قَالَ : « أَمْهِلُوا حَتَّى تَدْخُلُوا لَيْلاً – أَىْ عِشَاءً – وحتى يصل خبر وصولنا إلى النساء – لِكَىْ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ – التى أهملت شعرها لغياب زوجها – وَتَسْتَحِدَّ الْمُغِيبَةُ » – وتزيل التى غاب زوجها شعر العانة بالموسى استعدادًا لزوجها.

٥٠٨٠ – وبلفظ : تَزَوَّجْتُ ، فَقَالَ لِى رَسُولُ ﷺ : « مَا تَزَوَّجْتَ » ؟ فَقُلْتُ : تَزَوَّجْتُ ثَيِّباً . فَقَالَ : « مَا لَكَ وَلِلْعَذَارَى وَلِعَابِهَا » – بكسر اللام من الملاعبة ، وبضمها مص لعابها وريقها ، أى ما كان ينبغى أن تتخلى

عن هذه المتعة - . وهذه الرواية أيضًا ترغب في نكاح البكر ، ولا تستحسن نكاح الثيب للحاجة .

٥٢٤٣ - وتحت باب لا يطرق أهله ليلا إذا أطال الغيبة ، مخافة أن يخونهم - أي يقع في نفسه خيانتهن ، ويتكلف ذلك إذا فاجأ ، فرأى ما يثير غيرته ، أو يلتمس عثراتهن ، أو يتكلف إلحاق الأخطاء والتقصير منهن

وبلفظ : **كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْرَهُ أَنْ يَأْتِيَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ طُرُوقاً** - أي ليلا على غفلة ، وهذا النهي للكراهة .

٥٢٤٤ - وبلفظ : « **إِذَا أَطَالَ أَحَدُكُمُ الْغَيْبَةَ فَلاَ يَطْرُقْ أَهْلَهُ لَيْلاً** » .

٥٢٤٥ - **وكُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ ، فَلَمَّا قَفَلْنَا تَعَجَّلْتُ عَلَى بَعِيرٍ قَطُوفٍ فَلَحِقَنِي رَاكِبٌ مِنْ خَلْفِي ، فَالْتَفَتُّ ، فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَا يُعْجِلُكَ » ؟ قُلْتُ : إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ . قَالَ : « فَبِكْراً تَزَوَّجْتَ أَمْ ثَيِّباً » ؟ قُلْتُ : بَلْ ثَيِّباً . قَالَ : « فَهَلاَّ جَارِيَةً تُلاَعِبُهَا وَتُلاَعِبُكَ » . قَالَ : فَلَمَّا قَدِمْنَا ذَهَبْنَا لِنَدْخُلَ ، فَقَالَ : « أَمْهِلُوا حَتَّى تَدْخُلُوا لَيْلاً - أَيْ عِشَاءً - لِكَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ وَتَسْتَحِدَّ الْمُغِيبَةُ » . قَالَ : وَحَدَّثَنِي الثِّقَةُ أَنَّهُ قَالَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ : « الْكَيْسَ الْكَيْسَ يَا جَابِرُ ». يَعْنِي الْوَلَدَ** . يعني : لا تعجل في طلب الدار .

نعم كانت تربية الجيل أساسية ليحمل رسالته ، لكنه صلى الله عليه وسلم لم يكن ليهمل أو يغض الطرف عن المصالح الشخصية فالثلاثة الذين ذهبوا إلى بيوت أزواج رسول الله ﷺ يسألون عن عبادته السرية ، فلما تقالوها قال علي بن أبي طالب : أما أنا فسأصوم الدهر لا أفطر ، وقال عبد الله بن عمرو : وأما أنا فسأقوم الليل كله لا أنام ، وقال عثمان بن مظعون : وأما أنا فسأتبتل لا أتزوج النساء ، فكان الحديث :

٥٠٦٣ – عن أَنَس بْنَ مَالِكٍ ﷺ قال : جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا : وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ قَالَ أَحَدُهُمْ : أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا . وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ . وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا . فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي » .

والحديث :

٥٠٧٣ – عن سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قال : رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ ، وَلَوْ أَذِنَ لَهُ لاَخْتَصَيْنَا .

ولما علم صلى الله عليه وسلم أن أحد الصحابة رغب فى التقرب إلى الله بإعتاق عبده ، ولم يكن يملك غيره ، باع رسول الله ﷺ هذا العبد بثمانمائة درهم ، وأرسلها إليه ليعيش بها ، مقدمًا بناءَ الحياة الدنيا على الطاعة الأخروية ، يحكى هذه القصة الحديث :

٧١٨٦ – عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ : بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّ رَجُلا مِنْ أَصْحَابِهِ أَعْتَقَ غُلاَمًا عَنْ دُبُرٍ – أى عن دبر حياة سيده بأن قال له : إن مت فأنت حر – لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ غَيْرَهُ ، فَبَاعَهُ بِثَمَانِمِائَةِ دِرْهَمٍ، ثُمَّ أَرْسَلَ بِثَمَنِهِ إِلَيْهِ.

ولما بلغه أن معاذ بن جبل ﷺ يطيل على المأمومين فى قراءته فى الصلاة لامه وعنفه ، يحكى هذه القصة الحديث :

٦١٠٦ – عن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ – رضى الله عنهما – أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ ﷺ كَانَ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، ثُمَّ يَأْتِي قَوْمَهُ ، فَيُصَلِّي بِهِمُ الصَّلاَةَ ،

فقرأ بهم البقرة - قال - فتجوز رجل ، فصلى صلاة خفيفة ، فبلغ ذلك معاذا ، فقال : إنه منافق . فبلغ ذلك الرجل ، فأتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله إنا قوم نعمل بأيدينا ، ونسقى بنواضحنا ، وإن معاذا صلى بنا البارحة ، فقرأ البقرة فتجوزت ، فزعم أنى منافق . فقال النبى ﷺ : « يا معاذ ، أفتان أنت - ثلاثا - اقرأ ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝ ﴾ [1] و ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝ ﴾ [2] ونحوها » .

ولما رأى رجلا قد أهدى إلى الكعبة بدنة ، ومنع نفسه من ركوبها زيادة فى التقوى حسب فهمه قال له رسول الله ﷺ : اركبها . قال : يا رسول الله . هى هدى . فكيف أركبها ؟ قال له : اركبها . وكان الحديث :

٦٦٠ - عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى رجلا يسوق بدنة ، فقال له : « اركبها » . قال : يا رسول الله إنها بدنة . قال : « اركبها ويلك » . فى الثانية أو فى الثالثة .

وكان صلى الله عليه وسلم قد أمر أصحابه فى السفر أن يكبروا كلما علوا عاليا ، أو هبطوا واديا فلما وجدهم يجهدون أنفسهم ، ويرفعون أصواتهم بالتكبير قال لهم الحديث :

٦٦١ - عن أبى موسى رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى غزاة فجعلنا لا نصعد شرفا ، ولا نعلو شرفا ، ولا نهبط فى واد ، إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير - قال - فدنا منا رسول الله ﷺ فقال : « يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم ، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنما تدعون سميعا بصيرا » . ثم قال : « يا عبد الله بن قيس ، ألا أعلمك كلمة هى من

---

(١) سورة الشمس - الآية : ١ .

(٢) سورة الأعلى - الآية : ١ .

كُنُوزِ الْجَنَّةِ ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللَّهِ » .

ورأى رجلا قد سقط مجهدًا بسبب صيامه فى السفر وفى يوم شديد الحرارة فلامه وقال :

١٩٤٦ - عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رضى الله عنهما - قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِى سَفَرٍ ، فَرَأَى زِحَامًا ، وَرَجُلا قَدْ ظُلِّلَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : « مَا هَذَا » ؟ فَقَالُوا : صَائِمٌ . فَقَالَ: « لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِى السَّفَرِ ».

ورأى ابن عمر – رضى الله عنهما – يركب بعيرًا صعبًا يحاول تذليله ، والبعير لا يقبل ، وكان ملكًا لعمر ، وخشى أن يَحْرِم عمر ابنه من ركوب هذا البعير ، وقدَّر حرص ابن عمر على تطويع البعير وتهذيبه ، فاشتراه من عمر ، ووهبه لابنه ، ومكنه من أن يفعل فيه ما يشاء ، يحدثنا عن ذلك الحديث :

٢١١٥ - عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما - قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِىِّ ﷺ فِى سَفَرٍ ، فَكُنْتُ عَلَى بَكْرٍ صَعْبٍ لِعُمَرَ ، فَكَانَ يَغْلِبُنِى ، فَيَتَقَدَّمُ أَمَامَ الْقَوْمِ ، فَيَزْجُرُهُ عُمَرُ وَيَرُدُّهُ ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ ، فَيَزْجُرُهُ عُمَرُ وَيَرُدُّهُ ، فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ لِعُمَرَ : « بِعْنِيهِ » ؟ قَالَ : هُوَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « بِعْنِيهِ » . فَبَاعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « هُوَ لَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ تَصْنَعُ بِهِ مَا شِئْتَ » .

نعم تربية الجيل على مبادئ الإسلام شملت الكثير من المهام التى ذكرناها ، وذكرنا هنا بعضها فى وظائف المسجد باعتبار أن المسجد دار المعارف ، ويمثل المدارس والجامعات ، وذكرناها هنا باعتبارها مهمة الرسول ﷺ الأساسية تلقى الوحى وتبليغه ، وتلقى أسئلة الصحابة ومشاكلهم والعمل على علاجها فى ضوء ما يوحى إليه .

فعنوان تربية الجيل يشمل جميع المهام السابقة واللاحقة أو يشمل أكثرها فى ضوء تبليغ الوحى وأداء الرسالة .

فالمقداد يسأل عن قتله رجلا كافرًا ضرب يد المقداد فقطعها ، ثم قال : أسلمت ، وكان الجواب فى الحديث :

٦٨٦٥ - عن الْمِقْدَادِ بْنِ عَمْرٍو الْكِنْدِىِّ حَلِيفِ بَنِى زُهْرَةَ وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ لَقِيتُ كَافِرًا فَاقْتَتَلْنَا ، فَضَرَبَ يَدِى بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا ، ثُمَّ لاَذَ بِشَجَرَةٍ ، وَقَالَ : أَسْلَمْتُ لِلَّهِ . آقْتُلُهُ بَعْدَ أَنْ قَالَهَا ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لاَ تَقْتُلْهُ » . قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّهُ طَرَحَ إِحْدَى يَدَىَّ ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ مَا قَطَعَهَا ، آقْتُلُهُ ؟ قَالَ : « لاَ تَقْتُلْهُ ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ ، وَأَنْتَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِى قَالَ » . أى فإنه مسلم قتلته ، وأنت غير مسلم كامل الإسلام .

والرجل الذى أصاب معصية دون الحد يسأل عما يكفر ذنبه ، فكان الجواب فى الحديث :

٦٨٢٣ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ النَّبِىِّ ﷺ فَجَاءَهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّى أَصَبْتُ حَدًّا ، فَأَقِمْهُ عَلَىَّ . قَالَ : وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْهُ . قَالَ : وَحَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَصَلَّى مَعَ النَّبِىِّ ﷺ فَلَمَّا قَضَى النَّبِىُّ ﷺ الصَّلاَةَ قَامَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّى أَصَبْتُ حَدًّا ، فَأَقِمْ فِىَّ كِتَابَ اللَّهِ . قَالَ : « أَلَيْسَ قَدْ صَلَّيْتَ مَعَنَا » ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : « فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ » . أَوْ قَالَ : « حَدَّكَ » .

مصداقًا لقوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ﴾ (١) .

---

(١) سورة هود - الآية : ١١٤ .

والنعمان بن بشير وقد أعطاه أبوه هدية فلم تقبلها أمه حتـــى يشـــهد عليها رسول الله ﷺ ، وكان الجواب فى الحديث :

٢٥٨٧ – عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ – رضى الله عنهما – قـــال وَهُـــوَ عَلَى الْمِنْبَرِ : أَعْطَانِى أَبِي عَطِيَّةً ، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ : لاَ أَرْضَـــى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ . فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : إِنِّى أَعْطَيْتُ ابْنِى مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً ، فَأَمَرَتْنِى أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَـــالَ : « أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا » ؟ قَالَ : لاَ . قَـــالَ : « فَـــاتَّقُوا اللَّـــهَ ، وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ » . قَالَ : فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ .

وخلاصة الحكم فى تفضيل بعض الأولاد على بعض عند الفقهـــاء . يرى جمهور الحنابلة وجوب التسوية ، وعن بعضهم : تجوز المفاضلة إن كان لها سبب ، وذهب عامة الفقهاء إلى أن التسوية مستحبة ، فإن فضـــل بعضًا صح مع الكراهة ، وفى صفة التسوية ومعناها خـــلاف . قيـــل : لا فرق بين الذكر والأنثى ، وقيل : العدل أن يعطى الذكر حظين كالميراث ، والراجح الذى نميل إليه ، ونفتى به أن الأمر بالتسوية للندب ؛ لأن الوالـــد مالك ، والإسلام يحترم الملكية الفردية ، ويجعل لصاحبها الحق فى إعطاء ما له لغير ولده ، فإذا جاز له أن يخرج جميع ولده من ماله جـــاز لـــه أن يخرج بعضهم .

والرجل الذى يخدع فى البيع يسأل عما يحميه من الخداع ، فيوصف له الدواء فى هذا الحديث :

٢١١٧ – عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ – رضى الله عنهمـــا – أَنَّ رَجُـــلا ذَكَرَ لِلنَّبِىِّ ﷺ أَنَّهُ يُخْدَعُ فِى الْبُيُوعِ ، فَقَالَ : « إِذَا بَايَعْتَ فَقُلْ لاَ خِلاَبَةَ » .

وسبب شكواه أنه كان يبايع ، وكان فى فهمه الأمور ضعف ، فنصح أن يقول للطرف الثانى : لا خلابة ولا خداع بينى وبينك فى هذه المعاملة ؛

لأن الدين النصيحة ، فهذا القول يجعله بالخيار ثلاثة أيام ، فإن رضى أمسك ، وأن سخط رد .

وكان العنصر الأساسى فى هذه التربية مراقبة التنفيذ ، فإن كان على الصراط المستقيم فبهه ونعمت ، وإن كان يحتاج إلى تعديل وتقويم عدله وقومه ، فالرجل الذى قاتل الكفار قتال الأبطال قال عنه رسول الله ﷺ : إنه من أهل النار ، ليراقب الصحابة أعماله ، فيبتعدوا عما يحبط عملهم ، ويتحاشوا ما وقع فيه حتى ضاع هباء قتاله ، يصور الحادثة الحديث :

٤٢٠٢ - عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِىِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْتَقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ فَاقْتَتَلُوا ، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَسْكَرِهِ ، وَمَالَ الآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ ، وَفِى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ لاَ يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً وَلاَ فَاذَّةً إِلاَّ اتَّبَعَهَا ، يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ ، فَقِيلَ مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلاَنٌ - أى ما أدى أحد واجبه اليوم مثل ما أدى فلان واجبه - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ » . فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : أَنَا صَاحِبُهُ . قَالَ : فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ - قَالَ - فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ ، فَوَضَعَ سَيْفَهُ بِالأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ : «وَمَا ذَاكَ»؟ قَالَ الرَّجُلُ الَّذِى ذَكَرْتَ آنِفًا : أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ ، فَقُلْتُ : أَنَا لَكُمْ بِهِ . فَخَرَجْتُ فِى طَلَبِهِ ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ . فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِى الأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ ، وَهْوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ ، وَهْوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ » .

ورأى رسول الله ﷺ رجلين يطوفان بالكعبة وقد ربط أحدهما بالآخر بحبل ، فقطعه النبى ﷺ ونهاهما عن مثل ذلك ، كما فى الحديث :

١٦٢٠ - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضى الله عنهما - أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ مَرَّ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ بِإِنْسَانٍ رَبَطَ يَدَهُ إِلَى إِنْسَانٍ بِسَيْرٍ ، أَوْ بِخَيْطٍ ، أَوْ بِشَىْءٍ غَيْرِ ذَلِكَ ، فَقَطَعَهُ النَّبِىُّ ﷺ بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « قُدْهُ بِيَدِهِ » .

وبلال ﷺ يشترى تمرًا جيدًا بتمر رديء ، فيعنفه رسول الله ويقول له : هذا عين الربا وينصحه بالطريق المستقيم فى الحديث :

٣٢١٢ - عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ : مَرَّ عُمَرُ فِى الْمَسْجِدِ وَحَسَّانُ يُنْشِدُ - فكأنه أنكر إنشاد الشعر فى المسجد - **فَقَالَ** - حسان -**: كُنْتُ أُنْشِدُ فِيهِ ، وَفِيهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى أَبِى هُرَيْرَةَ ، فَقَالَ : أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ ، أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « أَجِبْ عَنِّى ، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ » ؟ قَالَ: نَعَمْ .**

٥٥٣١ - وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رضى الله عنهما - قال : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِشَاةٍ مَيِّتَةٍ ، فَقَالَ : « هَلاَّ اسْتَمْتَعْتُمْ بِإِهَابِهَا » . قَالُوا : إِنَّهَا مَيِّتَةٌ . قَالَ : « إِنَّمَا حَرُمَ أَكْلُهَا » .

٥٥٣٢ - وعنه - رضى الله عنهما - قال : مَرَّ النَّبِىُّ ﷺ بِعَنْزٍ مَيْتَةٍ ، فَقَالَ : « مَا عَلَى أَهْلِهَا لو انْتَفَعُوا بِإِهَابِهَا » .

ومرَّ رسول الله ﷺ بشاة ميتة ، أو بعنز ميتة ، فقال ، فقال : ما على أهلها لو انتفعوا بجلدها ؟ قالوا : إنها ميتة ، وقد نهينا عن الميتة ؟ قال : إنما حرم أكلها .

الإعداد للحياة العملية

وفى إطار تربية الجيل وتكوينه كان صلى الله عليه وسلم يستجيب لمن يطلب المعجزات الحسية ، وسنعقد لها بابًا مستقلاً ، ويستجيب لمن يرغب فى رؤيته وقت نزول الوحى عليه . كما فى قصة هذا الحديث :

١٥٣٦ - عن صَفْوَانَ بْنِ يَعْلَى قال : إِنَّ يَعْلَى قَالَ لِعُمَرَ ﷺ أَرِنِى النَّبِىَّ ﷺ حِينَ يُوحَى إِلَيْهِ ، قَالَ : فَبَيْنَمَا النَّبِىُّ ﷺ بِالْجِعْرَانَةِ ، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ تَرَى فِى رَجُلٍ أَحْرَمَ بِعُمْرَةٍ ، وَهْوَ مُتَضَمِّخٌ بِطِيبٍ ؟ فَسَكَتَ النَّبِىُّ ﷺ سَاعَةً ، فَجَاءَهُ الْوَحْىُ ، فَأَشَارَ عُمَرُ ﷺ إِلَى يَعْلَى ، فَجَاءَ يَعْلَى ، وَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَوْبٌ قَدْ أُظِلَّ بِهِ فَأَدْخَلَ رَأْسَهُ ، فَإِذَا رَسُولُ ﷺ مُحْمَرُّ الْوَجْهِ ، وَهُوَ يَغِطُّ ثُمَّ سُرِّىَ عَنْهُ فَقَالَ : « أَيْنَ الَّذِى سَأَلَ عَنِ الْعُمْرَةِ » فَأُتِىَ بِرَجُلٍ فَقَالَ : « اغْسِلِ الطِّيبَ الَّذِى بِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، وَانْزِعْ عَنْكَ الْجُبَّةَ ، وَاصْنَعْ فِى عُمْرَتِكَ كَمَا تَصْنَعُ فِى حَجَّتِكَ » . قُلْتُ لِعَطَاءٍ : أَرَادَ الإِنْقَاءَ حِينَ أَمَرَهُ أَنْ يَغْسِلَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ .

وكان صلى الله عليه وسلم ينفرهم من الاستدانة ، ويستعيذ أمامهم من الدَّيْن ؛ لأن المدين يعد فيخلف ، ويخبر فيكذب ، بل كان فى المرحلة الأولى من تنفيره من الدَّيْن لا يصلى على المدين إذا مات ، كما يحدثنا الحديث :

٢٢٨٩ - عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ ﷺ قَالَ : كُنَّا جُلُوساً عِنْدَ النَّبِىِّ ﷺ إِذْ أُتِىَ بِجَنَازَةٍ ، فَقَالُوا : صَلِّ عَلَيْهَا . فَقَالَ : « هَلْ عَلَيْهِ دَيْنٌ » ؟ قَالُوا : لاَ . قَالَ : « فَهَلْ تَرَكَ شَيْئاً » ؟ قَالُوا : لاَ . فَصَلَّى عَلَيْهِ ، ثُمَّ أُتِىَ بِجَنَازَةٍ أُخْرَى ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، صَلِّ عَلَيْهَا . قَالَ : « هَلْ عَلَيْهِ دَيْنٌ » ؟

قِيلَ : نَعَمْ . قَالَ : « فَهَلْ تَرَكَ شَيْئاً » ؟ قَالُوا : ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ . فَصَلَّى عَلَيْهَا ، ثُمَّ أُتِىَ بِالثَّالِثَةِ ، فَقَالُوا : صَلِّ عَلَيْهَا. قَالَ : « هَلْ تَرَكَ شَيْئاً » ؟ قَالُوا : لاَ . قَالَ : « فَهَلْ عَلَيْهِ دَيْنٌ » ؟ قَالُوا : ثَلَاثَةُ دَنَانِيرَ . قَالَ : « صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ » . قَالَ أَبُو قَتَادَةَ : صَلِّ عَلَيْهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَعَلَىَّ دَيْنُهُ . فَصَلَّى عَلَيْهِ .

كان من تعاليمه السمحة ، وحرصه على سمعة أمته ، يحثهم على ستر أنفسهم والتوبة من أخطائهم بينهم وبين الله تعالى . والحديث الآتى يصور رجلا عصى الله ، فذهب فاعترف يطلب الحد ، فلم يشجعه صلى الله عليه وسلم على هذا التصرف، بل حاول أن يرجع الرجل عن إقراره.

٦٨١٥ - عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِى الْمَسْجِدِ فَنَادَاهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّى زَنَيْتُ . فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، حَتَّى رَدَّدَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ ، فَلَمَّا شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ ، دَعَاهُ النَّبِىُّ ﷺ فَقَالَ : « أَبِكَ جُنُونٌ » ؟ قَالَ : لاَ . قَالَ : « فَهَلْ أَحْصَنْتَ » ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « اذْهَبُوا بِهِ فَارْجُمُوهُ » .

قال العلماء : فيستحب لمن وقع فى مثل خطيئة ماعز أن يتوب إلى الله تعالى ويستر نفسه ، ولا يذكر ذلك لأحد ، ويستحب لمن اطلع على ذلك أن يستر عليه ، ولا يفضحه ، ولا يرفع أمره إلى الحاكم ، فقد قال صلى الله عليه وسلم فى هذه القصة : « لو سترته بثوبك لكان خيرًا لك » وقال فى هذه القصة أيضًا : « هلا تركتموه لعله يتوب ، فيتوب الله عليه » ؟

رباهم على التعاون ، وعمل الفرد لصالح الأمة ، وأن المؤمنين مثلهم فى التعاون كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالحمى والسهر . و« مثل المؤمنين كمثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى . فقال لهم :

٦٥٢ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ : « بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ ، فَأَخَّرَهُ ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَـهُ ، فَغَفَرَ لَهُ » .

علمهم السماحة فى البيع والشراء والمقاضاة ، فقال :

٢٠٧٦ - عَنْ جَابِرٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً سَمْحاً إِذَا بَاعَ ، وَإِذَا اشْتَرَى ، وَإِذَا اقْتَضَى » .

وقال :

٢٠٧٧ - عن حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « تَلَقَّـتِ الْمَلائِكَـةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَالُوا : أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئاً ؟ قَالَ : كُنْتُ آمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا وَيَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُوسِرِ ، قَالَ : قَالَ : فَتَجَاوَزُوا عَنْهُ ». وفى رواية : « كُنْتُ أُيَسِّرُ عَلَى الْمُوسِرِ وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ » . وفى رواية : « أُنْظِرُ الْمُوسِرَ ، وَأَتَجَاوَزُ عَنِ الْمُعْسِرِ » وفى رواية : « فَأَقْبَـلُ مِـنَ الْمُوسِرِ ، وَأَتَجَاوَزُ عَنِ الْمُعْسِرِ » .

علمهم التكسب والكفاح والعمل ، ونفرهم من الخمول والبطالة والكسل، فقال :

٢٠٧٢ - عَنِ الْمِقْدَامِ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَا أَكَلَ أَحَـدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْراً مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السلام كَـانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ » .

وقال :

٢٠٧٤ - عن أبى هُرَيْرَةَ ﷺ قال : قَالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ : « لأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْـأَلَ أَحَـداً ، فَيُعْطِيَـهُ أَوْ يَمْنَعَهُ ».

وفى بعض الأحاديث : « من بات كالاً – أى متعبًا ومجهدًا – من عمله بات مغفورًا له » .

نفرهم من السؤال فقال :

١٤٧٤ – عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ – رضى الله عنهما – قَالَ : قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ حَتَّى يَأْتِىَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِى وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ » .

وعند الترمذى : « من سأل الناس ليثرى ماله كان خدوشًا فى وجهه يوم القيامة ، فمن شاء فليقل ، ومن شاء فليكثر » .

وعند مسلم : « من سأل الناس تكثرًا فإنما يسأل جمرًا » .

المنافقون ومعاملة الرسول ﷺ لهم

وفى إطار تربية الجيل ، وكما حذرهم من الفتن ومن الدجالين حذرهم من المنافقين ومن خداعهم .

والنفاق يولد فى بيئة الجبناء ، حيث يخافون الشر ، ويرغبون فى خير الأعداء ، فيظهر المنافقون ، أنهم حزب القوة ، والحقيقة أنهم ليسوا كذلك ، ويعلنون الموالاة وهم فى الحقيقة أعداء .

وقد ولد النفاق فى المدينة كنتيجة من نتائج غزوة بدر ، حيث ساد الإسلام على الكفر ، وانتصر المسلمون على المشركين ، وبات المسلمون فى المدينة قوة يحسب لها حساب وحساب .

نافق بعض اليهود ، ونافق بعض سكان المدينة من الأوس والخزرج ، فأعلنوا الإسلام ، وأبطنوا الكفر والعداء للمسلمين ، بدءوا قلة ، وعظم أمرهم ، وكثر عددهم ، حتى رأيناهم فى غزوة أحد ثلث جيش المسلمين .

تزعمهم عبد الله بن أُبى ابن سلول كبير الأوس ، وسيد أهل المدينة حين هاجر إليها رسول الله ﷺ ، لا يختلف عليه فى شرفه من قومه اثنان ، ولم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين غيره حتى جاء الإسلام .

كان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ، ثم يملكوه عليهم ، فجاءهم الله تعالى برسوله ﷺ ، وهم على ذلك ، فرأى أن رسول الله ﷺ قد استلبه ملكًا .

فلما أسلم قومه امتلأ حقدًا وعداوة .

فدخل فى الإسلام كارهًا مصرًا على نفاق وضغينة .

واعتمادًا على شرفه وسيادته تبعه وتحزب معه كثيرون ، وسلكوا سبيله ، وعملوا بإشارته ، واعتمادًا على ذلك ظهرت منه مواقف عداء

لرسول الله ﷺ وللإسلام .

١. فهو الذى تولى كبر الإفك ونشره ، وهو القائل حين رأى عائشة – رضى الله عنها – مع صفوان : والله ما نجت منه ولا نجا منها .

٢. وهو القائل : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، يعنى بالأعز نفسه ومن معه ، وبالأذل رسول الله ﷺ والمهاجرين .

٣. وهو بطل قصة هذا الحديث والمقبح لرسول الله ﷺ :

٥٦٦٣ – عن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قال : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ عَلَى إِكَافٍ – بردعة – **عَلَى قَطِيفَةٍ فَدَكِيَّةٍ ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ وَرَاءَهُ يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ ، فَسَارَ حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَىٍّ ابْنُ سَلُولَ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عَبْدُ اللَّهِ ، وَفِى الْمَجْلِسِ أَخْلاَطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ وَالْيَهُودِ ، وَفِى الْمَجْلِسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، فَلَمَّا غَشِيَتِ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ** – ترابها الذى أثارته بجريها – **خَمَّرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَىٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ ، وَقَالَ : لاَ تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا ، فَسَلَّمَ النَّبِىُّ ﷺ وَوَقَفَ وَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَىٍّ : يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ ، إِنَّهُ لاَ أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ إِنْ كَانَ حَقًّا ، فَلاَ تُؤْذِنَا بِهِ فِى مَجْلِسِنَا ، وَارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصُصْ عَلَيْهِ . قَالَ ابْنُ رَوَاحَةَ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَاغْشَنَا بِهِ فِى مَجَالِسِنَا ، فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ ، فَاسْتَبَّ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ حَتَّى كَادُوا يَتَثَاوَرُونَ ، فَلَمْ يَزَلِ النَّبِىُّ ﷺ يخفضهم حَتَّى سكتُوا ، فَرَكِبَ النَّبِىُّ ﷺ دَابَّتَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَقَالَ لَهُ : « أَىْ سَعْدُ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ » ؟ يُرِيدُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَىٍّ . قَالَ سَعْدٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اعْفُ عَنْهُ ، وَاصْفَحْ ، فَلَقَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ مَا أَعْطَاكَ ، وَلَقَدِ اجْتَمَعَ أَهْلُ هَذِهِ الْبُحَيرةِ** – المدينة – **على أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُوهُ ، فَلَمَّا رَدَّ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِى أَعْطَاكَ** – الله – **شَرِقَ بِذَلِكَ ، فَذَلِكَ الَّذِى فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ .**

٤. وهو الذى أمر أتباعه بالعودة إلى المدينة وعدم الاشتراك فى غزوة أحد ، وكانوا ثلث جيش المسلمين ، ومن أتباعه من بنى ضبعة أبو حبيبة بن الأزعر ، وكان ممن بنى مسجد الضرار ، وثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير ، وهما اللذان ﴿ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾[1].

وحاصل القصة – كما أخرجها الطبرانى " جاء ثعلبة بن حاطب إلى رسول الله ﷺ قال : يا رسول الله . ادع الله تعالى أن يرزقنى مالا . فقال عليه الصلاة والسلام : ويحك يا ثعلبة . أما تحب أن تكون مثلى ؟ فلو شئت أن يسير الله تعالى هذه الجبال معى ذهبًا لسارت . قال : يا رسول الله . ادع الله تعالى لى أن يرزقنى مالا ، فوالذى بعثك بالحق إن آتانى الله مالا لأعطين كل ذى حق حقه ، فقال : ويحك يا ثعلبة قليل تطيق شكره خير من كثير لا تطيقه، قال : يا رسول الله ادع الله تعالى . فقال رسول الله ﷺ : اللهم ارزقه مالا ، فاتخذ غنمًا ، فبورك له فيها ونمت كما ينمو الدود ، حتى ضاقت به المدينة ، فتنحى بها ، فكان يشهد الصلاة بالنهار مع رسول الله ﷺ ، ولا يشهدها بالليل ، ثم نمت كما ينمو الدود فتنحى ، فكان لا يشهد الصلاة بالليل ولا بالنهار إلا من جمعة إلى جمعة مع رسول الله ﷺ . ثم نمت كما ينمو الدود فضاق به مكانه، فكان لا يشهد جمعة ولا جنازة مع رسول الله ﷺ ، فجعل يتلقى الركبان ، ويسألهم عن الأخبار ، وفقده رسول الله ﷺ فسأل عنه ، فأخبروه أنه اشترى

(١) سورة التوبة – الآيات : ٧٥- ٧٨ .

غنمًا ، وأن المدينة ضاقت به ، فقال عليه الصلاة والسلام : ويح ثعلبة بن حاطب ، ويح ثعلبة بن حاطب .

ثم إن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يأخذ الصدقات ، فبعث رسول الله ﷺ رجلين يأخذان الصدقات ، وأمرهما أن يمرا على ثعلبة ، فخرجا ، فمرا بثعلبة ، فسألاه الصدقة – فقال : أرياني كتابكما . فنظر فيه ، فقال : ما هذه إلا جزية . انطلقا حتى تفرغا ، ثم مرا بي ، فانطلقا ، وسمع بهما السلمي ، فاستقبلهما بخيار إبله ، فقالا : إنما عليك دون هذا ، فقال : ما كنت أتقرب إلى الله تعالى إلا بخير مالي ، فقبلا منه ، فلما فرغا مرًّا بثعلبة ، فقال : أرياني كتابكما ، فنظر فيه ، فقال : ما هذه إلا جزية . انطلقا حتى أرى رأيي ، فانطلقا حتى قدما المدينة ، فلما رآهما رسول الله ﷺ قال – قبل أن يكلمهما – ويح ثعلبة بن حاطب ، ودعا للسلمي بالبركة ، وأنزل الله تعالى الآيات ، فسمع بعض أقاربه ، فأتاه ، فقال : ويحك يا ثعلبة . أنزل فيك كذا وكذا ، فقدم على رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله . هذه صدقة مالي ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن الله قد منعني أن أقبل منك ، فجعل يبكي ويحثو التراب على رأسه ، فقال رسول الله ﷺ : « هذا عملك بنفسك ، أمرتك فلم تطعني » .

فلم يقبل منه رسول الله ﷺ حتى مضى ، ثم أتى أبا بكر رضي الله عنه فقال : اقبل مني صدقتي ، فقد عرفت منزلتي من الأنصار ، فقال أبو بكر : لم يقبل رسول الله ﷺ وأقبلها ؟ فلم يقبلها أبو بكر ، ثم ولي عمر رضي الله عنه ، فأتاه ، فقال : يا أبا حفص . يا أمير المؤمنين . اقبل مني صدقتي . فقال : لم يقبلهما رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ، أقبلها أنا ؟ فأبى ، ثم ولي عثمان رضي الله عنه فلم يقبلها منه ، وهلك في خلافته .

وقال الحسن : إن الآيات نزلت في ثعلبة ومعتب بن قشير ، خرجا على ملأ قعود ، فحلفا بالله تعالى : لئن آتانا من فضله لنصدقن ، فلما آتاهما بخلا .

ومعتب هو الذى قال يـوم أحد ﴿ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ﴾[1].

وهو وأصحابـه المقصودون بقوله تعالى : ﴿ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾. يوم أحد ، أى لا هم لهم غير أنفسهم ، يحذرون القتل ، وهم لا يرجون عاقبة ﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ ويذيعون الأقاويل ، ويقولون : إن أمر محمد ﷺ باطل ، وأنه لا ينصر ﴿ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ﴾ أى ليس لنا من هذه الحرب من فائـدة ، وإنما خرجنا كرهًا ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ﴾ من الشرك والكفر والتكذيب ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾[2].

وهو الذى قال يوم الأحزاب : كان محمد يعدنا أن نحصل على كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لا يأمن أن يذهب الغائط ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾[3].

ومعتب بن قشير وجلاس بن سويد بن صامت قبل توبته ، ورافع بن زيد وبشر – وكانوا يدعون الإسلام دعاهم رجال من قومهم من المسلمين إلى أن يحتكموا فى خصومة بينهم وبينهم إلى النبى ﷺ فلم يقبلوا ، وأصروا أن

(١) سورة آل عمران – الآية : ١٥٤ .

(٢) سورة آل عمران – الآية : ١٥٤ .

(٣) سورة الأحزاب – الآية : ١٢ .

يتحاكموا إلى الكهان حكام أهل الجاهلية ؛ لأن هؤلاء الكهان يحكمون بالرشوة لا بالحق ، وفعلا حكموا لهم ، وأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ ﴾ حالهم ﴿ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ ﴾ ما أردنا بالعدول عنك والتحاكم إلى الطاغوت ﴿ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ ﴾ إلا تقريبًا فى الحكم وتوفيقًا بين الخصوم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ وعن عقابـــهم ﴿ وَعِظْهُمْ ﴾ وخوفهم ﴿ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ﴾ وازجرهم بأبلغ الزجر ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[1].

ومعتب بن قشير أحد الذين بنوا مسجد الضرار ، قريبًا من مسجد قباء ليفرقوا ببنائه المسلمين ، وقصته – كما أخرجها ابن جرير عن ابن عباس – رضى الله عنهما – أن جماعة من الأنصار قال لهم أبو عامر : ابنوا مسجدًا ، واستمدوا ما استطعتم من قوة وسلاح ، فإنى ذاهب إلى قيصر ملك الروم ،

---

(١) سورة النساء – الآيات : ٦٠– ٦٥ .

فآتى بجند من الروم ، فأخرج محمدًا وأصحابه .

كان أبو عامر كافرًا مجاهرًامحاربًا الله ورسوله ، وكان قد ترهب فى الجاهلية ، ولبس المسوح وتنصر ، فلما قدم النبى ﷺ المدينة جاءه أبو عامر ، فقال له : ما هذا الدين الذى جئت به ؟ قال صلى الله عليه وسلم : الحنيفية البيضاء ، دين إبراهيم عليه السلام قال : فأنا عليها . قال صلى الله عليه وسلم : إنك لست عليها . فقال : بلى . ولكنك أنت أدخلت فيها ما ليس منها ، فقال النبى ﷺ : ما فعلت ، ولكن جئت بها بيضاء نقية . فقال أبو عامر : أمات الله تعالى الكاذب منا طريدًا وحيدًا ، فأمَّن النبى ﷺ . فلما كان يـــوم أحد قال للنبى ﷺ : لا أجد قومًا يقاتلونك إلا قاتلتك معهم ، وأخذ يقاتل رسول الله ﷺ إلى يوم حنين ، فلما انهزمت هوازن يومئذ ولى هاربًا إلى الشام بعد أن حرض المنافقين على بناء مسجد الضرار ، ومات وحيدًا شريدًا بقنسرين .

حرَّض اثنى عشر رجلا : خذام بن خالد وقد أخرج المسجد من داره ، وعبادة بن حنيف ، وثعلبة بن حاطب ، ووديعة بن ثابت ، وعتب بن قشير ، وأبا حبيبة بن الأزعر ، وحارثة بن عامر ، وابنيه مجمع وزيد ، ونبيل بن الحارث ، ونجاد بن عثمان ، وبجدع من بنى ضبيعة .

بنوا مسجد الضرار ، ولما فرغوا من بنائه أتوا رسول الله ﷺ ، وهو يتجهز إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا قد بنينا مسجدًا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة الشاتية ، وإنا نحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه وتدعو بالبركة ، فقال صلى الله عليه وسلم : إنى على جناح سفر ، وحال شغل ، ولو قدمنا إن شاء الله آتيناكم فصلينا لكم فيه .

ونزل قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا ﴾ وترقبًا وانتظارًا ﴿ لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ

مِن قَبْلُ ﴾ أبى عامر ﴿ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ أى ما أردنا ببناء هذا المسجد إلا الحسنى ؛ وهى الصلاة وذكر الله تعالى والتوسعة على المصلين ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝١٠٧ ﴾ فيما حلفوا عليه ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ ولا تصلِّ – يا محمد – فى هذا المسجد أبدًا ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ كمسجد قبــاء ومسجد النبى ﷺ بالمدينة ﴿ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ۝١٠٨ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠٩ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١١٠ ﴾[1].

فأرسل النبى ﷺ إلى هذا المسجد رجلين من أصحابه ، فأحرقاه وهدماه.

---

(١) سورة التوبة – الآيات : ١٠٧– ١١٠ .

المنافقون فى غزوة الخندق

يخرج المنافقون فى الغزوات خداعًا للمسلمين ، ورغبة فى حيازة الغنيمة ، خطتهم تثبيط المؤمنين وتخذيلهم ، وبثّ الخوف والجبن فى قلوبهم ، يكشفهم القرآن الكريم بقوله ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [1].

خطتهم ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ ﴾ وينتظرون أن تدور عليكم الدوائر ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ﴾ فأعطونا من الغيمة ﴿ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ ﴾ للكافرين ﴿ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [2].

يكشفهم القرآن الكريم بقوله ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾ من المنافقين ، وعلى رأسهم عبد الله بن أبى ﴿ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ عند الخندق ﴿ فَٱرْجِعُواْ ﴾ إلى بيوتكم بالمدينة ﴿ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ ﴾ أن يرجعوا إلى المدينة ﴿ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ ذليلة الحيطان ، يخاف على من فيها من اللصوص ، وليس بها رجال يحمونها ﴿ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ [3] وهربًا من القتال .

---

(١) سورة النساء – الآيتان : ٧٢ ، ٧٣ .

(٢) سورة النساء – الآية : ١٤١ .

(٣) سورة الأحزاب – الآية : ١٣ .

يكشفهم القرآن بقوله : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ ﴾ والمثبطين عن القتال وعن رسول الله ﷺ ﴿ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ ﴾ أى اقبلوا إلينا بالمدينة ، وارجعوا إلينا من الخندق ﴿ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ ﴾ الحرب والقتال ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٨ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ ﴾ بخلاء عليكم بالنفقة والنصرة ﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝١٩ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ ﴾ من الجزع والدهشة ، لمزيد الجبن والخوف ﴿ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢٠ ﴾ [1].

(١) سورة الأحزاب – الآيات : ١٨– ٢٠ .

المنافقون فى غزوة بنى قريظة أو المريسيع

على ماء المريسيع عقب الانتهاء من بنى قريظة وقعت القصة التى يحكيها الحديث :

٤٩٠٥ – عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ – رضى الله عنهما – قَالَ : كُنَّا فِى غَزَاة – قَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً فِى جَيْشٍ – فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ ، فَقَالَ الأَنْصَارِىُّ : يَا لَلأَنْصَارِ . وَقَالَ الْمُهَاجِرِىُّ : يَا لَلْمُهَاجِرِينَ . فَسَمِعَ ذَاكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « مَا بَالُ دَعْوَى جَاهِلِيَّةٍ » ؟ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ . فَقَالَ : « دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ » . فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَىٍّ ، فَقَالَ : فَعَلُوهَا ، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ . فَبَلَغَ النَّبِىَّ ﷺ فَقَامَ عُمَرُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، دَعْنِى أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ . فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « دَعْهُ ، لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ » وَكَانَتِ الأَنْصَارُ أَكْثَرَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ ، ثُمَّ إِنَّ الْمُهَاجِرِينَ كَثُرُوا بَعْدُ .

٤٩٠٤ – عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ : كُنْتُ مَعَ عَمِّى ، فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ أُبَىٍّ ابْنَ سَلُولَ يَقُولُ : لاَ تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا ، وَلَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ . فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّى ، فَذَكَرَ عَمِّى لِلنَّبِىِّ ﷺ فَدَعَانِى فَحَدَّثْتُهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَىٍّ وَأَصْحَابِهِ فَحَلَفُوا مَا قَالُوا ، وَكَذَّبَنِى النَّبِىُّ ﷺ وَصَدَّقَهُمْ ، فَأَصَابَنِى غَمٌّ لَمْ يُصِبْنِى مِثْلُهُ قَطُّ ، فَجَلَسْتُ فِى بَيْتِى وَقَالَ عَمِّى مَا أَرَدْتَ إِلَى أَنْ كَذَّبَكَ النَّبِىُّ ﷺ وَمَقَتَكَ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ﴾ (١). وَأَرْسَلَ إِلَىَّ النَّبِىُّ ﷺ فَقَرَأَهَا وَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ » .

---

(١) سورة المنافقون – الآية : ١ .

٤٩٠٣ – عن زَيْد بْنِ أَرْقَمَ قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ النَّبِىِّ ﷺ فِى سَفَرٍ أَصَابَ النَّاسَ فِيه شِدَّةٌ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّه بْنُ أُبَىٍّ لأَصْحَابِه : لاَ تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّه حَتَّى يَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِه . وَقَالَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ . فَأَتَيْتُ النَّبِىَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّه بْنِ أُبَىٍّ فَسَأَلَهُ ، فَاجْتَهَدَ يَمِينَهُ مَا فَعَلَ ، قَالُوا كَذَبَ زَيْدٌ رَسُولَ اللَّه ﷺ فَوَقَعَ فِى نَفْسِى مِمَّا قَالُوا شِدَّةٌ ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تَصْدِيقِى فِى : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ ﴾ فَدَعَاهُمُ النَّبِىُّ ﷺ لِيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ فَلَوَّوْا رُءُوسَهُمْ.

٤٩٠٢ – عن زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ﷺ قَالَ : لَمَّا قَالَ عَبْدُ اللَّه بْنُ أُبَىٍّ : لاَ تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّه . وَقَالَ أَيْضاً : لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ . أَخْبَرْتُ بِه النَّبِىَّ ﷺ فَلاَمَنِى الأَنْصَارُ ، وَحَلَفَ عَبْدُ اللَّه بْنُ أُبَىٍّ مَا قَالَ ذَلِكَ ، فَرَجَعْتُ إِلَى الْمَنْزِلِ فَنِمْتُ فَدَعَانِى رَسُولُ اللَّه ﷺ فَأَتَيْتُهُ ، فَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ » . وَنَزَلَ : ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ ﴾ [1] الآيَةَ .

٤٩٠١ – عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ﷺ قَالَ : كُنْتُ مَعَ عَمِّى فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّه ابْنَ أُبَىٍّ ابْنَ سَلُولَ يَقُولُ : لاَ تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّه حَتَّى يَنْفَضُّوا . وَقَالَ أَيْضاً : لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ . فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّى فَذَكَرَ عَمِّى لِرَسُولِ اللَّه ﷺ فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّه ﷺ إِلَى عَبْدِ اللَّه بْنِ أُبَىٍّ وَأَصْحَابِه ، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا ، فَصَدَّقَهُمْ رَسُولُ اللَّه ﷺ وَكَذَّبَنِى ، فَأَصَابَنِى هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِى مِثْلُهُ ، فَجَلَسْتُ فِى بَيْتِى ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ ﴾ إِلَى قَوْلِه : ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ

---

(١) سورة المنافقون – الآية : ٧ .

ﵟاللَّهِﵞ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ (١) فَأَرْسَلَ إِلَىَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَرَأَهَا عَلَىَّ ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ » .

والرجل المهاجرى هو جهجاه بن قيس ، أجير عمر ﷺ ، والأنصارى هو سنان بن وبرة الجهنى ، من أتباع عبد الله بن أبى . ويحكيها زيد بن أرقم فى حديث أخرجه الترمذى فيقول :

غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ مَعَنَا أُنَاسٌ مِنَ الأَعْرَابِ ، فَكُنَّا نَبْتَدِرُ الْمَاءَ – أى نتسابق عليه – وَكَانَ الأَعْرَابُ يَسْبِقُونَا إِلَيْهِ ، فَيَسْبِقُ الأَعْرَابِىُّ أَصْحَابَهُ ، فَيَمْلأُ الْحَوْضَ ، ويغطيه بِالنَّطْعِ حَتَّى يَجِىءَ أَصْحَابُهُ . فَأَتَى رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَأَرْخَى زِمَامَ نَاقَتِهِ لِتَشْرَبَ ، فَأَبَى أَنْ يَدَعَهُ ، فَانْتَزَعَ حجرًا فضربه ، فَرَفَعَ الأَعْرَابِىُّ خَشَبَةً فَضَرَبَ رَأْسَ الأَنْصَارِىِّ ، فَشَجَّهُ ، وضربه على دبره ، واستغاث الأنصارى بالأنصار ، واستغاث المهاجرى بالمهاجرين، وجاء عَبْدُ اللَّهِ بْنَ أُبَىٍّ وأتباعه ، فأثاروه ، وهيجوا غضبه ، وقالوا له : قد كنت ترجى وتدفع ، فصرت لا تضر ولا تنفع . فقال : أو قد فعلوها ؟ نافرونا وكاثرونا فى بلادنا ، إن مثلنا ومثلهم كما قيل : سمّن كلبك يأكلك . لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. لو أمسكتم فضل طعامكم عنهم لجاعوا، ﴿ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ﴾ (٢) ويتفرقوا عنه .

يقول زَيْدٌ بن أرقم : وَأَنَا رِدْفُ عمى ، فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَىٍّ وهو يقول ما قال ، فَأَخْبَرْتُ عَمِّى ، فَأَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إلى ابن أبى وأصحابه ، فحلفوا ما قالوا وجحدوا . فكذبنى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وصدقهم ، وقال لى : لعلك أخطأ سمعك ، لعلك شبه عليك .

---

(١) سورة المنافقون – الآيات : ١– ٨ .

(٢) سورة المنافقون – الآية : ٧ .

وقال ناس : كذب زيد رسول الله ﷺ ، وجاءَ عَمِّى إلَىَّ ، فقَالَ ما أَرَدْتَ إلاَّ أَنْ مَقتَكَ وكَذَّبَكَ الْمُسْلِمُونَ . فوَقَعَ عَلَىَّ مِنَ الْهَمِّ مَا لَمْ يَقَعْ عَلَى أحَدٍ قط . فرجعت إلى المنزل ، فنمت كئيبًا حزينًا ، وجلست فى البيت مخافة إذ رآنى الناس أن يقولوا كذبت وبَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ للصلاة ، قَدْ خَفَقْتَ رَأْسِى مِنَ الْهَمِّ أدركنى رَسُولُ اللَّه ﷺ فَعَرَكَ بأُذُنى وَضَحِكَ فِى وَجْهِى ، فلَحِقَنِى أبو بكر ، فسألنى فقلت له ، فَقَالَ : أَبْشِرْ . ثُمَّ لَحِقَنِى عُمَرُ فقال مثل ذلك ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا دعانى رسول الله ﷺ ، فأتيته ، فقال : إن الله قد صدقك . وأخذ بأذنى ، وقال : وفت أذنك . يا غلام . وفت أذنك يا غلام . وقرأ علينا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُورَةَ الْمُنَافِقِينَ .

﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً ﴾ ووقاية وتبرئة من الاتهام ﴿ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ﴾ ظاهرًا ﴿ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ ﴾ لضخامتها وتنسيقها وجمالها ﴿ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ ﴾ لفصاحتهم وطلاقة ألسنتـــهم وحلاوة كلامهم ، وكان ابن أبى جسيمًا فصيحًا ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ ﴾ كأنهم أشباح وتماثيل ، كأنهم أجرام جوفاء خالية من العقل والروح ، وهم لجبنهم وهلعهم ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (١).

---

(١) سورة المنافقون – الآيات : ١– ٤ .

ولما صدق الله زيد بن أرقم فيما أخبر به عن عبد الله بن أبى مقت الناس ابن أبى ، ولامه المؤمنون من قومه ، وقال له بعضهم : امض إلى رسول الله ﷺ ، واعترف بذنبك يستغفر لك ، فلوى رأسه إنكارًا لهذا الرأى ، وقال لهم : أشرتم علىَّ بالإيمان فآمنت ، وأشرتم على بأن أعطى زكاة مالى ففعلت ، ولم يبق لكم إلا أن تأمرونى بالسجود لمحمد ﷺ دعاهم رسول الله ﷺ ليستغفر لهم فلووا رءوسهم .

يصور هذا المنظر قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ ﴾ ويعرضون عن القائل وعن الاستغفار ﴿ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٦ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨ ﴾ [1].

ولما نزلت هذه الآيات قال عمر ﷺ : يا رسول الله . دعنى أضرب عنق هذا المنافق ، أو مر معاذًا أن يضرب عنقه . فقال صلى الله عليه وسلم : دعه . لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه .

وجاء عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول إلى رسول الله ﷺ ، وكان مسلمًا مخلصًا ، ومؤمنًا قوى الإيمان ، فقال : يا رسول الله . بلغنى أنك تريد

---

(١) سورة المنافقون – الآيات : ٥– ٨ .

قتل أبى فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلا ، فمرنى به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فقال : لا تقتل أباك بل نرفق به ، ونحسن صحبته .

وأمر صلى الله عليه وسلم أن يؤذن بالرحيل عن ماء المريسيع إلى المدينة ، فراح فى ساعة ما كان يرحل فيها ، وكانت عائشة – رضى الله عنها تبحث عن عقدها ، فتركها الجيش ، وسار سيرًا سريعًا حتى نزل قريبًا من المدينة ، فأدركته مع صفوان فى نحر الظهيرة ، فكانت فرصة لعبد الله بن أبى ليختلق حديث الإفك ، وأن يشغل الناس عن جريمته ، وقد بسطنا فيه القول عند الكلام على عائشة رضى الله عنها .ولما وصلوا إلى أبواب المدينة وقف عبد الله بن عبد الله بن أبى والناس يدخلون حتى جاء أبوه ، وقف شاهرًا سيفه على أبيه ، وقال له : وراءك . والله الذى لا إله إلا هو لا أغمد سيفى حتى تقول : محمد الأعز ، وأنا الأذل ، فلم يبرح حتى قال ذلك . قال : لا تدخلها أبدًا إلا أن يأذن رسول الله ﷺ ، ولتعلمن اليوم من الأعز من الأذل ، فرجع حتى لقى رسول الله ﷺ ، فشكا إليه ما صنع ابنه ، فأرسل إليه النبى ﷺ أن خل عنه يدخل . ففعل .

المنافقون وبنى النضير

أسلم أناس من بنى قريظة ومن بنى النضير إسلام نفاق ، فكانوا من أتباع عبد الله بن أبى ، ولما عزم رسول الله ﷺ على إجلاء بنى النضير كتب إليهم عبد الله ابن أبى وأتباعه فى المدينة ما حكاه القرآن الكريم فى سورة الحشر بقوله :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ يهود بنى النضير ﴿ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ ﴾ من دياركم قهرًا وإجبارًا ﴿ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ ﴾ ونذهبن فى صحبتكم أينما ذهبتم ﴿ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا ﴾ يعاديكم ويذمكم ﴿ وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ ﴾ ونعاونكم على عدوكم ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝١١ ﴾ فى وعودهم ﴿ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ﴾ فرارًا ﴿ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۝١٢ لَأَنتُمْ ﴾ أيها المؤمنون ﴿ أَشَدُّ رَهْبَةً ﴾ وتخويفًا وفزعًا ﴿ فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝١٣ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ ﴾ لا يقدر المنافقون على قتالكم ﴿ جَمِيعًا ﴾ مجتمعين متفقين ﴿ إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا ﴾ مجتمعين متحدين ﴿ وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ﴾ شديدة التفرق ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ۝١٤ ﴾ .

مثلهم ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ﴾ أى كمثل بنى قينقاع ، وكانوا حلفاء عبد الله بن أبى ، وكل ما استطاع عمله لهم أن توسط لإخراجهم وجلائهم ﴿ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٥ ﴾ مثل المنافقين مع بنى

النضير ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [1] يشير بذلك إلى قصة الراهب برصيصا الذى كان يتعبد فى صومعته ، وأن فتاة جميلة كان لها إخوة اضطروا للسفر ، فأودعوها تحت رعاية هذا الراهب ، فأخذ يتردد عليها ، وأغواه الشيطان فواقعها ، فحملت ، فجاءه الشيطان ، فقال له : اقتلها وادع أنها ماتت ، فقتلها ودفنها ، وجاء إخوتها فأخذوه – وقد علموا الحقيقة – فذهبوا به ، فبينما هم يمشون إذا جاءه الشيطان ، فقال له : أنا الذى زينت لك الفجور بها ، ثم زينت لك قتلها ، ثم أخبرت إخوتها بقتلك لها ، فاسجد لى سجدة أنجيك ، فسجد له ، ثم تبرأ منه ، وقتلوه .

---

(١) سورة الحشر – الآيتان : ١٦ ، ١٧ .

المنافقون وغزوة تبوك

كان رسول الله ﷺ إذا رجع من غزوة ورَّى بغيرها ، لا يصرح بمكانها ولا زمانها إلا غزوة تبوك ، إذ صرح بها قبلها بمدة ليستعدوا لها ؛ لأنها كانت بعيدة ، وكان الناس فى مشقة وعسر ، وكانت فى شدة الحرِّ . فكان للمنافقين موقف حكاه القرآن الكريم فى سورة التوبة .

دُعوا لكتابة أسمائهم فى سجل الغزوة فاعتذر منهم من اعتذر ، وتخلف عن الخروج من تخلف .

يكشف القرآن حالهم فيقول : ﴿ لَوْ كَانَ ﴾ ما تدعوهم إليه ﴿ عَرَضًا قَرِيبًا ﴾ وغنمًا سهل المأخذ ، قريب المنال ﴿ وَسَفَرًا قَاصِدًا ﴾ متوسطًا ﴿ لَّٱتَّبَعُوكَ ﴾ ووافقوك وخرجوا معك ﴿ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ﴾ وبعدت عليهم المسافة .

﴿ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ ﴾ عند رجوعك من غزوة تبوك ﴿ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا ﴾ الخروج معك ﴿ لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ ﴾ لكننا تخلفنا لأننا لم نستطع من جهة العدة، ومن جهة الصحة، ومن جهة المال ﴿ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ ويعرضون أنفسهم للعذاب يوم القيامة ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [1] .

سيعتذرون إليك بأعذار واهية ، وستقبل اعتذاراتهم ، وكان ينبغى أن تتريث فى الإذن ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ عتاب رقيق ، مسبوق بالعفو عن ترك الأولى والأكمل ، فهو صلى الله عليه وسلم لم يصدر عنه ذنب ؛ لأنهم لم يكن فى

---

(١) سورة التوبة – الآية : ٤٢ .

خروجهم مصلحة للدين أو منفعة للمسلمين ، بل كان فيه فساد وخبال ، وكره الله انبعاثهم ، كما سياتى فى الآيات ، فالعتاب على التعجيل بالإذن ، إذ كان الأولى تأخيره حتى يظهر كذبهم ، ويفتضحوا على رءوس الأشهاد ، ولا يتسنى لهم الابتهاج فيما بينهم بأنهم خدعوه وغرروا به ، وأرضوه بالأكاذيب .

وظاهر من الآية أن الرسول ﷺ فعل شيئًا لم يؤمر بفعله ، وهو الإذن للمنافقين بالتخلف مما يدل على أن له صلى الله عليه وسلم أن يجتهد ، وله أجر واحد إذا لم يقع اجتهاده مطابقًا الأولى والصواب .

﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ بل يبادرون بذلك من غير توقف على الإذن . وهذا الأدب يجب أن يقتدى به دائمًا ، فلا يليق بالمرء أن يستأذن أخاه فى إسداء معروف إليه ، ولا يليق بالمضيف أن يستأذن الضيف فى أن يقدم إليه طعامًا ، وقد تأدب بهذا الأدب قديمًا إبراهيم الخليل عليه السلام ، ومدحه الله تعالى به فقال : ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾ [1]. ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ۝ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ﴾ فى التخلف ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ۝ ﴾ ويتحيرون ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً ﴾ من زاد وراحلة وسلاح ، ولكنهم كانوا مخططين للتخلف ، مصرين عليه ، فلم يتهيئوا للسفر ﴿ وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾ وعوقهم وأصابهم بالكسل والخمول ﴿ وَقِيلَ ﴾ وقال بعضهم لبعض ﴿ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ

(١) سورة الذاريات – الآية : ٢٦ .

﴿ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ وكانوا تسعة وثلاثين .

﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً ﴾ شرًا وفسادًا وعجزًا وجبنًا وغدرًا ومكرًا ﴿ وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ ﴾ وأسرعوا بالنميمة بينكم ﴿ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ ﴾ ويقصدون أن يفتنوكم بإيقاع الخلاف فيما بينكم ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ ﴾ نمّامون يسمعون حديثكم لأجل نقله إليهم ، وفيكم أناس من المسلمين ، يسمعون قولهم ، ويصدقونهم ، ويطيعونهم ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ ﴾ وذلك يوم أحد ، حين انصرف عبد الله بن أبى ابن سلول بأصحابه المنافقين ، وقد تخلف بهم عن هذه الغزوة أيضًا ، بعد أن خرج مع النبى ﷺ إلى قريب من ثنية الوداع ﴿ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ ﴾ والمكايد والحيل ﴿ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ ﴾ والنصر ﴿ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ وغلب دينه ، وعلا شرعه ﴿ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ ﴾ ولا توقعنى فى الفتنة . يروى عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : لما أراد النبى ﷺ أن يخرج إلى غزوة تبوك قال لجد بن قيس : يا جد بن قيس . ما تقول فى مجاهدتى بنى الأصفر ؟ فقال : يا رسول الله . إنى امرؤ صاحب نساء ، ومتى أرى نساء بنى الأصفر أفتتن ، فائذن لى فى التخلف ولا تفتنى ﴿ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ ﴾ وهزيمة ﴿ يَقُولُواْ ﴾ متبجحين بما صنعوا ﴿ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ ﴾ وتلافينا الضرر بالتخلف ﴿ وَيَتَوَلَّواْ ﴾ وينصرفوا عن متحدثهم ، ومن محل اجتماعهم إلى أهليهم ﴿ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا

كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ ﴾ النصر أو الشهادة ﴿ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ ﴾ إحدى السوأتين ﴿ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ ﴾ فيهلككم كما أهلك الأمم قبلكم ﴿ أَوْ ﴾ بعذاب كائن ﴿ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ وقال بعض المنافقين لرسول الله ﷺ : ائذن لى فى التخلف وأعينك بمالى ، فنزل : ﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ عاتين متمردين ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ المفروضة ﴿ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ ﴾ متثاقلين ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ الإنفاق ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ ﴾ لا يروقك شيء من ذلك ، فإنه استدراج لهم ، ووبال عليهم ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ أما تعذيبهم بالأموال فبالمشقة والمكابدة فى جمعها، وأما تعذيبهم بالأولاد ، فإنهم قد يموتون فيجزعون ، وقد يكون الولد غيظًا لأبيه وأمه ، عدوًا لهما ﴿ وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ ﴾ فى الدين ، أى يحلفون أنهم مؤمنون مثلكم ﴿ وَمَا هُم مِّنكُمْ ﴾ لكفر قلوبهم ﴿ وَلَـٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ يخافون منكم أن تفعلوا بهم ما تفعلوا بالمشركين ، فيظهرون الإسلام تقية ، ويؤيدونه بالأيمان الفاجرة ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا ﴾ وحصنًا يحميهم منكم ﴿ أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ ﴾ يختفون فيها ﴿ أَوْ مُدَّخَلًا ﴾ نفقًا ينجحرون فيه

﴿ لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ ﴾ والتجأوا إليه ﴿ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [1] ويسرعون ويشتدون جبنًا منكم وخوفًا .

خرج رسول الله ﷺ هو وأصحابه إلى تبوك و ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ ﴾ الذين خلفهم النبى ﷺ ، وأذن لهم فى التخلف ﴿ بِمَقْعَدِهِمْ ﴾ وقعودهم ﴿ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ ﴾ وقد قال بعضهم لبعض ﴿ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ﴾ لا تخرجوا إلى الغزو فى الحر ، يثبطونهم عن الجهاد ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ فما لكم لا تحذرونها ﴿ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا ﴾ عاجلا ﴿ وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا ﴾ آجلا ﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ ﴾ معك فى غزوة أخرى بعد غزوتـك هذه ﴿ فَقُل ﴾ لهم إهانة لهم ﴿ لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ﴾ قل لهم ذلك إظهارًا لكراهة صحبتهم ، وعدم الحاجة إلى مساندتهم ﴿ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ ﴾ والتخلف ﴿ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ عند غزوة تبوك ﴿ فَٱقْعُدُواْ ﴾ عن الخروج فيما يجد من الغزوات ﴿ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [2] المعذورين كالنساء والصبيان والرجال العاجزين .

﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ ﴾ تأمر بالجهاد ﴿ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ ﴾ أى أصحاب الفضل والسعة من المنافقين

---

(١) سورة التوبة – الآيات : ٤٢ – ٥٧ .

(٢) سورة التوبة – الآيات : ٨١– ٨٤ .

﴿ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (١).

وبعد أن قص علينا ما كان من منافقى أهل المدينة قصَّ علينا ما كان من منافقى الأعراب ، فقال : ﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾ فى التخلف ، والمذرون المقصرون الذين يوهمون أن لهم عذرًا فيما يفعلون ، ولا عذر لهم فى واقع الأمر ، قيل : المراد بهم رهط عامر بن الطفيل ، جاءوا إلى رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا نبى الله . إنا إن غزونا معك أغارت طى على أهالينا ومواشينا ، فقال رسول الله : قد أنبأنى الله من أخباركم ، وسيغنى الله عنكم . وقيل : المراد بهم أسد وغطفان ، استأذنوا فى التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال ﴿ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ ﴾ وتخلفوا عن الجهاد ﴿ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ (٢).

﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ ﴾ والمعاتبة والمعاقبة ﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ ﴾ فى التخلف ﴿ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ ﴾ قادرون على الخروج معك ﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل ﴾ لهم ﴿ لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ ﴾ ولن نصدقكم ﴿ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءً

---

(١) سورة التوبة – الآيتان : ٨٦ ، ٨٧ .

(٢) سورة التوبة – الآية : ٨٩ .

بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ﴾ من أهل الحضر والمنافقين لتوحشهم وقساوة قلوبهم ﴿ وَأَجْدَرُ ﴾ وأحق ﴿ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ ﴾ ويعد ويعتبـــر ﴿ مَا يُنفِقُ ﴾ فى الجهاد والصدقة ﴿ مَغْرَمًا ﴾ أى غرامة وخســارة ﴿ وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾[١].

(١) سورة التوبة – الآيات : ٩٣– ٩٨ .

ارقام الصفحة عدلت

بعض صفات المنافقين ، وبعض أقوالهم ، وبعض أفعالهم

لم يذكر القرآن اسمًا من أسماء المنافقين ؛ لأن العبرة ليست بالأسماء ، بل بالصفات والأقوال والأفعال ، وقد يؤمن المنافق إيمانًا خالصًا ويتوب ، فلا يدوم ارتباط النفاق بالأسماء .

وقد عرضنا بعض صفاتهم وأفعالهم فيما له علاقة بالغزوات ، ونضيف هنا بعضًا آخر من الصفات والأقوال والأفعال :

يصفهم القرآن الكريم بحسن المظهر ، وفساد المخبر في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾ (1) .

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ ويعيبك بشأنها ﴿ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (2). نزلت في ذي الخويصرة التميمي ، جاء ورسول الله ﷺ يقسم غنائم هوازن يوم حنين ، فقال: يا رسول الله . اعدل . قال : « ويلك . ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ » . فقال عمر ﷺ : يا رسول الله. ائذن لي أن أضرب عنق هذا المنافق . قال : « دعه. فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » .

وفي رواية قال : إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله تعالى ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : « رحمة الله تعالى على موسى ، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر » وعن بعضهم أنها نزلت في أبي الجواظ المنافق قال لأصحابه : ألا

---

(1) سورة المنافقون – الآية : ٤ .

(2) سورة التوبة – الآية : ٥٨ .

ترون إلى صاحبكم ؟ إنما يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم ، ويزعم أنه يعدل ؟

ومنهم ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ ويلمزون ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ (1). أخرج البغوى فى معجمه أن النبى ﷺ حثَّ على التصدق يومًا ، فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال : يا رسول الله . عندى ثمانية آلاف درهم ، تركت منها أربعة لعيالى ، وجئت بأربعة أقدمها لله ورسوله ، فاستكثر المنافقون ما جاء به ، وقام عاصم بن عدى الأنصارى فقال : يا رسول الله. عندى سبعون وسقًا من تمر – الوسق ستون صاعًا ، والصاع حول الكيلوجرام – فاستكثر المنافقون ما جاء به ، وقالوا : جاء هذا بأربعة آلاف ، وجاء هذا بسبعين وسقًا للرياء والسمعة ، فهلا أخفياها ؟ وهلا فرقاها ؟

ثم قام رجل من الأنصار ، اسمه الحبحاب يكنى أبا عقيل ، فقال : يا رسول الله . ما لى من مال ، غير أنى آجرت نفسى البارحة من بنى فلان على صاعين من تمر ، فتركت صاعًا لعيالى ، وجئت بصاع أقربه إلى الله تعالى ، فلمزه المنافقون ، وقالوا : جاء أهل الإبل بالإبل ، وجاء أهل الفضة بالفضة ، وجاء هذا بتمرات . الله غنى عنها . فنزلت الآية .

﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾ يسمع من الوشاة والنمامين، ويصدق ما يسمع ﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الخلص ، ولا يصدق المنافقين وإن سمع قولهم ﴿ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ

---

(1) سورة التوبة – الآية : ٧٩ .

﴿ ءَامَنُوا مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾[1].

نزلت فى جماعة من المنافقين ، منهم الحلاس بن سويد بن صامت ، ورفاعة بن عبد المنذر ، ووديعة بن ثابت وغيرهم ، اجتمعوا فقالوا ما لا يصح فى حقه صلى الله عليه وسلم ، فقال رجل منهم : لا تخوضوا فى شأنه ، فإنا نخاف أن يبلغه ما تقولون ، فيقع بنا ، فقال الحلاس : بل نقول ما شئنا ، ثم نأتيه ، فنحلف له ، فيصدقنا ، فإن محمدًا أذن سامعة .

﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ ﴾ طاعة لك فيما تأمر به ، وتنهى عنه ﴿ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ ﴾ وخرجوا من مواجهتك تآمروا عليك ، وبيتوا لك من المكايد ما لا ترى من الإساءة ﴿ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ﴾[2] ويثبته فى صحائفهم ليجازيهم عليه .

﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ ويستحيون منهم ، ويتسترون عنهم ﴿ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾[3].

أخرج الإمام مسلم أن ثلاثة قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم ، قال أحدهم : أترون أن الله يسمع ما نقول ؟ قال الآخر : يسمع إن جهرنا ، ولا يسمع إن أخفينا ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ ﴾[4].

---

(١) سورة التوبة – الآية : ٦١ .

(٢) سورة النساء : الآية : ٨١ .

(٣) سورة النساء – الآية : ١٠٨

(٤) سورة الملك – الآية : ١٣ .

﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا ﴾ وتمنوا أن تكونوا مثلهم فى الكفر ﴿ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ فلا تعادوهم ﴿ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [1].

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا كُسَالَىٰ ﴾ يصلون رياءً وسمعة وهم متثاقلون ، لا يرجون ثوابًا ، ولا يعتقدون على تركها عقابًا ، وأثقل صلاة على المنافقين العشاء والصبح ، فإن العشاء تأتى وقد أتعبهم النهار ، فيثقل عليهم القيام إليها ، وصلاة الصبح تأتى والنوم أحب إليهم ﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾ [2].

﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ مترددين بين المؤمنين والمشركين ، لا مخلصين فى إيمانهم ، ولا مصرحين بالكفر . وعند مسلم : « مثل المنافق كمثل الشاة العائرة – المترددة بين قيطعين ، لا تدرى أيهما تتبع – بين الغنمين تعير إلى هذه مرة ، وإلى هذه أخرى ﴿ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ ﴾ [3].

﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ يروى أن ابن أبى كان يوالى يهود بنى قينقاع ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ

(1) سورة النساء – الآية : ٨٩ .

(2) سورة النساء – الآية : ١٤٢ .

(3) سورة النساء– الآية : ١٤٣ .

﴿ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ (١).

ولا شك أن الصفات والأقوال تحدد الذوات والأشخاص إلى حد بعيد، ولا شك أن رسول الله ﷺ ، وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين كانوا يجزمون ببعض المنافقين .

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٢).

ولا شك أن الرسول ﷺ لم يكن يعرف جميعهم على التحقيق والتفصيل ، مصداقًا لقوله تعالى ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ ﴾ ومهروا في إخفاء نفاقهم، وبعدوا عن مواقع التهم، حتى خفي عليك حالهم مع كمال فطنتك ، وصدق فراستك ﴿ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ (٣).

---

(١) سورة النساء – الآيات : ١٣٨ – ١٤٠ .

(٢) سورة محمد – الآيتان : ٢٩ ، ٣٠ .

(٣) سورة التوبة – الآية : ١٠١ .

معاملة الرسول ﷺ للمنافقين

إن أصعب الأمور على النفس البشرية أن تحسن إلى من أساء إليها ، وان تقابل الإساءة بالإحسان ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ ﴾ وما يستطيع هذه الخصلة ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ (١).

وإن المرء ليعجب من الإحسان إلى عبد الله بن أبى على الرغم من مجاهرته بالعداء ، كيف يتغاضى عن إساءته يوم أثارت دابة رسول الله ﷺ بعض التراب ؟ يحكى هذه القصة الحديث :

٦٢٥٤ – عن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ﷺ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ ركبَ حماراً عَلَيْهِ إِكَافٌ – برذعة – تَحْتَهُ قَطِيفَةٌ فَدَكِيَّةٌ ، وَأَرْدَفَ وراءَهُ أُسامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، وَهُوَ يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فِى بَنِى الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ ، وَذَلِكَ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ حَتَّى مَرَّ فِى مَجْلِسٍ فِيهِ أَخْلَاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ وَالْيَهُودِ ، وَفِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَىٍّ ابْنُ سَلُولَ ، وَفِى الْمَجْلِسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، فَلَمَّا غَشِيَتِ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ – وترابها – خَمَّرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَىٍّ أَنْفَهُ بردائه ، ثُمَّ قَالَ : لاَ تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا . فَسَلَّمَ عَلَيْهِمُ النَّبِىُّ ﷺ ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَىٍّ ابْنُ سَلُولَ : أَيُّهَا الْمَرْءُ لاَ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا ، إِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا ، فَلاَ تُؤْذِنَا فِى مَجَالِسِنَا ، وَارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ ، فَمَنْ جَاءَكَ مِنَّا فَاقْصُصْ عَلَيْهِ. قَالَ ابْنُ رَوَاحَةَ : اغْشَنَا فِى مَجَالِسِنَا ، فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ . فَاسْتَبَّ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَتَوَاثَبُوا

---

(١) سورة فصلت – الآيتان : ٣٤ ، ٣٥ .

فَلَمْ يَزَلِ النَّبِىُّ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ ، ثُمَّ رَكِبَ دَابَّتَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ، فَقَالَ : « أَىْ سَعْدُ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ » . يُرِيدُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَىٍّ قَالَ : كَذَا وَكَذَا . قَالَ : اعْفُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاصْفَحْ فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ الَّذِى أَعْطَاكَ ، وَلَقَدِ اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ الْبَحْرَةِ عَلَى أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُونَهُ بِالْعِصَابَةِ ، فَلَمَّا رَدَّ اللَّهُ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِى أَعْطَاكَ شَرِقَ بِذَلِكَ ، فَذَلِكَ فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ ، فَعَفَا عَنْهُ النَّبِىُّ ﷺ .

وكيف يتغاضى عن سحبه ثلث الجيش من المنافقين ورجوعهم إلى المدينة يوم أحد ، وكيف يتغاضى عن موقفه على ماء المريسيع ، ووصفه رسول الله ﷺ بالأذل ؟ وكيف يتغاضى عن افترائه وخلقه الإفك ونشره فى أنحاء المدينة ؟ لم تكن معاملة الرسول ﷺ له مجرد التغاضى عن إساءاته ، بل كانت الإحسان إليه .

٥٧٩٦ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : لَمَّا تُوُفِّىَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَىٍّ جَاءَ ابْنُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَعْطِنِى قَمِيصَكَ أُكَفِّنْهُ فِيهِ ، وَصَلِّ عَلَيْهِ ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُ ، فَأَعْطَاهُ قَمِيصَهُ ، وَقَالَ: « إِذَا فَرَغْتَ فَآذِنَّا ». فَلَمَّا فَرَغَ آذَنَهُ ، فَجَاءَ لِيُصَلِّىَ عَلَيْهِ ، فَجَذَبَهُ عُمَرُ ، فَقَالَ : أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكَ اللَّهُ أَنْ تُصَلِّىَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ ، فَقَالَ : ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ (١) . فَنَزَلَتْ ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ (٢) .

مات عبد الله بن أبى بعد منصرف المسلمين من تبوك ، فى ذى القعدة سنة تسع ، ولما مرض أرسل إلى النبى ﷺ ، فلما دخل عليه قال له : أهلكك حب اليهود ، فقال : يا رسول الله . إنما أرسلت إليك لتستغفر لى ، لا لتوبخنى

---

(١) سورة التوبة – الآية : ٨٠ .

(٢) سورة التوبة – الآية : ٨٤ .

ثم سأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه ، وأن يصلى عليه ، يريد بذلك رفع العار عن ولده ، وعشيرته بعد موته ، فأجابه صلى الله عليه وسلم ، يصور الواقعة الحديث :

٤٦٧١ - عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : لَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ دُعِىَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّىَ عَلَيْهِ فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَثَبْتُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتُصَلِّى عَلَى ابْنِ أُبَىٍّ وَقَدْ قَالَ يَوْمَ كَذَا كَذَا وكَذَا؟ قَالَ : أُعَدِّدُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ : « أَخِّرْ عَنِّى يَا عُمَرُ ». فَلَمَّا أَكْثَرْتُ عَلَيْهِ قَالَ : « إِنِّى خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ ، لَوْ أَعْلَمُ أَنِّى إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُغْفَرْ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا » . قَالَ : فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ ﷺ ، ثُمَّ انْصَرَفَ ، فَلَمْ يَمْكُثْ إِلاَّ يَسِيراً حَتَّى نَزَلَتِ الآيَتَانِ مِنْ بَرَاءَةَ ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ (١) قَالَ : فَعَجِبْتُ بَعْدُ مِنْ جُرْأَتِى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

وفى رواية الترمذى عن عمر رضي الله عنه قال : فقام إليه ، فلما وقف عليه ، يريد الصلاة عليه ،وثبتت إليه ، فقلت : يا رسول الله . أتصلى على ابن أبى ؟ وفى روايـــة : وقد نهاك الله على أن تصلى عليه ؟ قال : أيـــن ؟ قال : ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ فهم عمر رضي الله عنه أن "أو" ليست للتخيير ، بل للتسوية فى عدم الوصف المذكور ، أى إن الاستغفار لهم وعدم الاستغفار سواء ، فالمراد نفى المغفرة عنهم ولو كثر الاستغفار ، وفهم أيضًا أن الاستغفار يطلق على الصلاة ، وحمل الرسول ﷺ كلمة "أو" على التخيير ، ففى رواية : « قال : أخر عنى يا عمر ، فلما أكثرت عليه قال : إنى خيرت فاخترت ، فوالله لأزيدن على السبعين ، فأنا

---

(١) سورة التوبة – الآية : ٨٤ .

أستغفر لهم سبعين وسبعين » . فصلى عليه ، وأطال الصلاة ، حتى قال ابن جارية : « ما رأيت رسول الله ﷺ أطال على جنازة قط ما أطال على جنازة عبد الله بن أبى من الوقوف » ثم نزل قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ** ﴾ فما صلى على منافق بعده حتى قبضه الله .

أما إلباسه قميص رسول الله ﷺ فيحكى قصته الحديث :

١٣٥٠ – عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ – رضى الله عنهما – قَالَ : أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ حُفْرَتَهُ ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ ، فَوَضَعَهُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَنَفَثَ عَلَيْهِ مِنْ رِيقِهِ ، وَأَلْبَسَهُ قَمِيصَهُ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَكَانَ كَسَا عَبَّاساً قَمِيصاً .

وفى رواية : **وَكَانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَمِيصَانِ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُه عَبْدِ اللَّهِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلْبِسْ أَبِى قَمِيصَكَ الَّذِى يَلِى جِلْدَكَ . قَالَ سُفْيَانُ : فَيُرَوْنَ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ أَلْبَسَ عَبْدَ اللَّهِ قَمِيصَهُ مُكَافَأَةً لِمَا صَنَعَ .**

وقصة إلباسه العباس عم النبى ﷺ قميص ابن أبى يحكيها الحديث :

٣٠٠٨ – عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ – رضى الله عنهما – قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ أُتِىَ بِأُسَارَى ، وَأُتِىَ بِالْعَبَّاسِ ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ ثَوْبٌ ، فَنَظَرَ النَّبِىُّ ﷺ لَهُ قَمِيصاً ، فَوَجَدُوا قَمِيصَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَىٍّ يَقْدُرُ عَلَيْهِ ، فَكَسَاهُ النَّبِىُّ ﷺ إِيَّاهُ ، فَلِذَلِكَ نَزَعَ النَّبِىُّ ﷺ قَمِيصَهُ الَّذِى أَلْبَسَهُ . قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ : كَانَتْ لَهُ عِنْدَ النَّبِىِّ ﷺ يَدٌ فَأَحَبَّ أَنْ يُكَافِئَهُ .

ولما رأى النبى ﷺ قلق المسلمين من إلباس ابن أبى قميصه قال لهم: « وماذا يغنى عنه قميصى من الله » .

قال العلماء : إنما فعل رسول الله ﷺ مع ابن أبى ما فعل إكرامًا لولده الذى تحققت فيه صلاحيته واستئلافًا لقومه ، ودفعًا لمفسدة محتملة .

وعند التحقيق قد نتفهم عدم الإيذاء ، ونتفهم العفو عن الإساءات بناءً على إرشادات العليم الخبير إذ قال : ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [1]. وقوله : ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [2].

ولكن الذى يصعب فهمه هذا التكريم الكبير لرأس النفاق عبد الله بن أبى مع الإيمان بأن المنافقين يوم القيامة فى الدرك الأسفل من النار ، ومع الإيمان بـ ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [3] ومع الإيمان بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ [4] وقوله : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [5] وقوله: ﴿ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ جَـٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَـٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ . [6]

ولكنها الرحمة والشفقة ، لا نقول : الشفقة والرحمة على رأس النفاق ولكنها الشفقة على ابنه صادق الإيمان ، وعلى عشيرته المخلصين .

---

(١) سورة الأحزاب – الآية : ٤٨ .

(٢) سورة النساء – الآية : ٦٣ .

(٣) سورة النساء – الآية : ١٤٠ .

(٤) سورة النساء – الآية : ١٤٥ .

(٥) سورة التوبة – الآية : ٦٨ .

(٦) سورة النساء – الآية : ١٠٩ .

الصحابة يتهمون بعضاً

منهم بالنفاق ، والرسول ﷺ يدافع عنهم

وأصبحت كلمة "منافق" سبة على جبين الدهر ، يرتجف منها المسلم، ففى حديث الصلاة فى بيت عتبان رقم : ٤٢٥ اتهم الصحابة مالك بن الدخشن بالنفاق لمجرد أنه لم يكن فى استقبال الرسول ﷺ ، قال بعضهم : ذاك منافق لا يحب الله ورسوله ، فقال رسول الله ﷺ : لا تقل ذلك . ألا تراه قد قال : لا إله إلا الله ، يريد بذلك وجه الله ؟ قال : الله ورسوله أعلم. فإنا نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين .

وعمر ﷺ يتهم حاطب بن أبى بلتعة بالنفاق لمجرد أنه كتب إلى أهل مكة يحذرهم من فتح مكة على يدى رسول الله ﷺ فى الحديث رقم :

٤٢٧٤ – عن عَلِيّ ﷺ قال : بَعَثَنِى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ فَقَالَ : « انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً – امرأة تركب ناقة **– مَعَهَا كِتَابٌ ، فَخُذُوا مِنْهَا » . قَالَ : فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ قُلْنَا لَهَا : أَخْرِجِى الْكِتَابَ . قَالَتْ : مَا مَعِى كِتَابٌ فَقُلْنَا : لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ ، قَالَ : فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا ، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِى بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ بِمَكَّةَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا حَاطِبُ مَا هَذَا » ؟ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لاَ تَعْجَلْ عَلَىَّ ، إِنِّى كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقاً فِى قُرَيْشٍ – يَقُولُ كُنْتُ حَلِيفاً وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا – وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مَنْ لَهُمْ قَرَابَاتٌ ، يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِى ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَداً يَحْمُونَ قَرَابَتِى ، وَلَمْ أَفْعَلْهُ ارْتِدَاداً عَنْ دِينِى ، وَلاَ رِضاً بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَمَا إِنَّهُ قَدْ**

صدَقَكُمْ » . فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، دَعْنِى أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ . فَقَالَ : « إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْراً ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْراً قَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ » . فَأَنْزَلَ اللَّهُ السُّورَةَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝ ﴾ [١] .

وأسيد بن حضير يقول لسعد بن عبادة : إنك منافق تجادل عن المنافقين فى حديث الإفك رقم :٤١٤١ .

ومعاذ ﷺ يتهم مصليًا خلفه بالنفاق ، لمجرد أنه لم يستطع أن يقف خلفه حتى يقرأ فى الركعة بسورة البقرة حديث رقم :

٧٠١ – عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ – رضى الله عنهما – قَالَ : كَانَ مُعَاذُ ابْنُ جَبَلٍ يُصَلِّى مَعَ النَّبِىِّ ﷺ ثُمَّ يَرْجِعُ فَيَؤُمُّ قَوْمَهُ ، فَصَلَّى الْعِشَاءَ فَقَرَأَ بِالْبَقَرَةِ ، فَانْصَرَفَ الرَّجُلُ ، فَكَأَنَّ مُعَاذاً تَنَاوَلَ مِنْهُ ، فَبَلَغَ النَّبِىَّ ﷺ فَقَالَ : « فَتَّانٌ فَتَّانٌ فَتَّانٌ » ثَلَاثَ مِرَارٍ أَوْ قَالَ : « فَاتِناً فَاتِناً فَاتِنٌ » وَأَمَرَهُ بِسُورَتَيْنِ مِنْ أَوْسَطِ الْمُفَصَّلِ .

وعند أحمد كان معاذ بن جبل يؤم قومه ، فدخل رجل وهو يريد أن يسقى نخله ، فدخل المسجد ليصلى مع القوم ، فلما رأى معاذًا طول تجوز فى صلاته ، ولحق بنخله ليسقيه ، فلما قضى معاذ صلاته قيل له : إن فلانا دخل المسجد ، فلما رآك طولت تجوز فى صلاته ، ولحق بنخله ليسقيه ، قال : إنه لمنافق . أيعجل عن الصلاة من أجل سقى نخله ؟ إلى آخر الحديث السابق .

---

(١) سورة الممتحنة – الآية : ١ .

نفاق العقيد ونفاق العمل

والنفاق فى الأصل مخالفة الظاهر للباطن ، فإن كان فى عقيدة الإيمان بأن يظهر الإسلام ويبطن الكفر فهو نفاق العقيدة ، وهو ما سبق أن عرضناه ، وإن كان فى العمل مع ثبوت الإيمان فهو نفاق العمل وعنه يقول صلى الله عليه وسلم :

٣٤ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رضى الله عنهما - أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ : « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا : إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ » .

وقد استصحب المسلمون كراهة وبغض لفظ النفاق ، فخافوا أن يلحقهم ولو بنفاق العمل ، ولو بمرة واحدة ، فقد روى مسلم فى صحيحه عَنْ حَنْظَلَةَ الأُسَيِّدِىِّ قَالَ - وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ - لَقِيَنِى أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ : كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ ؟ قَالَ : قُلْتُ : نَافَقَ حَنْظَلَةُ ، قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، مَا تَقُولُ؟ قَالَ : قُلْتُ : نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْىَ عَيْنٍ ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَافَسْنَا - داعبنا وضاحكنا - الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ ، وَالضَّيْعَاتِ ، فَنَسِينَا كَثِيراً - مما كنا عليه - قَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَوَاللَّهِ ، إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا . فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ : نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَمَا ذَاكَ » ؟ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْىَ عَيْنٍ ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيراً . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِى وَفِى الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِى طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً » . ثَلاَثَ مَرَّاتٍ .

وقال إبراهيم التيمى – وكان من فقهاء التابعين ، وكان يعظ الناس – قال ما عرضت قولى على عملى إلا خشيت أن أكون مكذَّبًا ، أى خشيت أن يكذبنى من رأى عملى مخالفًا لقولى .

وقال ابن أبى مليكة : أدركت ثلاثين من أصحاب النبى ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه ، وعلى رأس الصحابة الذين أدركهم : عائشة ، وأختها أسماء ، وأم سلمة ، والعبادلة الأربعة ، وأبو هريرة ، وعقبة بن الحارث ، والمسور بن مخرمة ، وقد سمع منهم جميعًا – رضى الله عنهم –.

ويذكر عن الحسن البصرى أنه قال : ما خاف النفاق إلا مؤمن ، وما أمنه إلا منافق .

ويقول صلى الله عليه وسلم :

١٧ – عن أَنَس ﷺ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : « آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ » .

وعند مسلم عن على ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له :« لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق » .

وكان من استعاذات النبى ﷺ قوله : « اللهم إنى أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق » .

وقد وردت صفات تغلب على المنافقين . ذكرنا بعضها ، ونذكر بعضًا آخر . منها :

١. أن أثقل الصلاة على المنافقين العشاء والفجر .. وعن النبى ﷺ : « لا يشهدهما منافق » . أى لا يواظب عليهما . وعن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال : كنا إذا فقدنا الرجل فى صلاة العشاء الآخرة أسأنا به الظن .

٢. يؤخر الصلاة حتى يفوت وقتها أو يكاد ، روى الإمام أحمد عن النبى ﷺ قال : « ألا أخبركم بصلاة المنافق ؟ يدع العصر ، حتى إذا كانت الشمس بين قرنى الشيطان – أو على قرنى الشيطان – أى كانت فى طريقها للمغيب – قام فنقرها نقرات الديك ، لا يذكر الله فيها إلا قليلا » .

أما عقوبة المنافق يوم القيامة فهى فظيعة أليمة تحدث عنها القرآن الكريم والحديث النبوى الصحيح . يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (١).

وإنما كانوا أشد عذابًا من الكفار؛ لأنهم كانوا مثلهم فى الكفر ، وضموا إلى الكفر الاستهزاء بالإسلام وخداع أهله ، وبسبب أنهم لما كانوا يظهرون الإسلام كان يمكنهم الاطلاع على أسرار المسلمين ، ثم يخبرون الكافرين بذلك ، فكانت المحنة من المنافقين أعظم من المحنة من الكافرين .

وقال تعالى : ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ﴾ (٢).

ويقول جل جلاله : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ (٣).

ويقول تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱنظُرُونَا ﴾ أى انتظرونا ﴿ نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ (٤) يصور هذا المنظر

---

(١) سورة النساء – الآية : ١٤٥ .

(٢) سورة النساء – الآية : ١٣٨ .

(٣) سورة التوبة – الآية : ٦٨ .

(٤) سورة الحديد – الآية : ١٣ .

حديث أخرجه الطبرانى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله يدعو الناس يوم القيامة بأمهاتهم ، سترًا منه على عباده ، وأما عند الصراط فإن الله تعالى يعطى كل مؤمن نورًا** - مصداقًا لقوله:﴿ **يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم** ﴾[1].

ويروى عن ابن مسعود ﷺ قال : يؤتون نورهم على قدر أعمالهم ، يمرون على الصراط ، منهم من نوره مثل الجبل ، أى نور قوى يضيء لصاحبه إضاء كاشفة مؤنسة مرضية ، ومنهم من نوره مثل النخلة ، وأدناهم نورًا من نوره على إبهامه ، لكنه يضيء لصاحبه بين يديه وعن جوانبه .

ويعطى كل منافق نورًا ، ليتحسر عند فقده ، وليكون فى ذلك خداع ، عقوبة له على خداعه المؤمنين فى الدنيا ، فإذا وصلوا الصراط أطفأ الله نور المنافقين والمنافقات ، فيستغيثون بالمؤمنين ، ويرجونهم أن يصاحبوهم ليستضيئوا بنورهم ﴿ **قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا** ﴾ أى قال المؤمنون للمنافقين استهزاء وسخرية : ارجعوا إلى المكان الذى أعطيتم فيه النور ، فلعله يعود إليكم ﴿ **فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ** ﴾ بين المنافقين والمؤمنين ﴿ **لَّهُۥ بَابٌۢ** ﴾ يطمعهم بأن يفتح ، ثم يكون يأسهم ﴿ **بَاطِنُهُۥ** ﴾ من جهة المؤمنين ﴿ **فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ** ﴾ والنعيم ﴿ **وَظَٰهِرُهُۥ** ﴾ من جهة المنافقين ﴿ **مِن قِبَلِهِ** ﴾ وجهته ﴿ **ٱلْعَذَابُ ۝ يُنَادُونَهُمْ** ﴾ ينادى المنافقون المؤمنين ﴿ **أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ** ﴾ فى الدنيا إذ كنا معدودين فى المسلمين ﴿ **قَالُوا۟ بَلَىٰ** ﴾ كنتم معنا فى الدنيا ظاهرًا ونفاقًا ﴿ **وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ** ﴾ وأهلكتموها بالنفاق ﴿ **وَتَرَبَّصْتُمْ** ﴾ بالمؤمنين الدوائر

---

(١) سورة الحديد - الآية : ١٢ .

﴿ وَٱرۡتَبۡتُمۡ ﴾ وشككتم فى عقيدة الإسلام ﴿ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ ﴾ الكاذبة ﴿ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝ ﴾ [1].

وظاهر أن هذه العقوبات خاصة بنفاق العقيدة ، أما نفاق العمل فغايته ارتكاب كبيرة ، وأمره إلى الله . إن شاء عفا عنه وغفر له . وإن شاء عاقبه .

ربى رسول الله ﷺ جيل الصحابة على التواضع وعدم الكبر ، وعدم التفاخر بالأنساب والأحساب ، أصلهم واحد ، وأبوهم واحد ، وأمهم واحدة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ ﴾ ويعرف بعضكم بعضًا ، لا لتفاخروا ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ [2].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝ ﴾ [3].

ولما عير أبو ذر بلالا – رضى الله عنهما – بسواد أمه اعتبر ذلك من خصال الجاهلية فى الحديث :

٦٠٥٠ – عن المعرور عَنْ أَبِى ذَرٍّ ﷺ قَالَ : رَأَيْتُ عَلَيْهِ بُرْداً وَعَلَى غُلامِه بُرْداً فَقُلْتُ : لَوْ أَخَذْتَ هَذَا فَلَبِسْتَهُ كَانَتْ حُلَّةً ، وَأَعْطَيْتَهُ ثَوْباً آخر . فَقَالَ : كَانَ بَيْنِى وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلاَمٌ ، وكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً ، فَنِلْتُ مِنْهَا فَذَكَرَنِى إِلَى النَّبِىِّ ﷺ فَقَالَ لِى : « أَسَابَبْتَ فُلاَناً » ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : « أَفَنِلْتَ مِنْ

(١) سورة الحديد – الآيات : ١٣- ١٥ .

(٢) سورة الحجرات – الآية : ١٣ .

(٣) سورة الحجرات – الآية : ١١

أُمِّه » ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : « إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ » . قُلْتُ : عَلَى حِينِ سَاعَتِى هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السِّنِّ ؟ قَالَ : « نَعَمْ ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِه فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ يُكَلِّفُهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْه » .

ويعلن رسول الله ﷺ المساواة بين البشر فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد عَنْ أَبِى نَضْرَةَ حَدَّثَنِى مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّه ﷺ فِى وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِىٍّ عَلَى أَعْجَمِىٍّ ، وَلاَ لِعَجَمِىٍّ عَلَى عَرَبِىٍّ ، وَلاَ لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ، وَلاَ لأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلاَّ بِالتَّقْوَى ، أَبَلَّغْتُ » .؟ قَالُوا بَلَّغَ رَسُولُ اللَّه ﷺ ثُمَّ قَالَ : « أَىُّ يَوْمٍ هَذَا » ؟ قَالُوا : يَوْمٌ حَرَامٌ . ثُمَّ قَالَ : « أَىُّ شَهْرٍ هَذَا » ؟ قَالُوا : شَهْرٌ حَرَامٌ . قَالَ : ثُمَّ قَالَ : « أَىُّ بَلَدٍ هَذَا » ؟ قَالُوا : بَلَدٌ حَرَامٌ . قَالَ : « فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ » . قَالَ : وَلاَ أَدْرِى قَالَ أَوْ أَعْرَاضَكُمْ أَمْ لاَ « كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِى شَهْرِكُمْ هَذَا فِى بَلَدِكُمْ هَذَا ، أَبَلَّغْتُ »؟ قَالُوا : بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ » .

ويرفع بالإسلام من كان عبدًا ، يرفع بلال بن أبى رباح فيجعله المؤذن ، ويرفع بالقرآن من كان عبدًا ، فيعين سالمًا مولى أبى حذيفة ليصلى إمامًا بالمسلمين المهاجرين فى قباء قبل هجرته صلى الله عليه وسلم .

ربى أصحابه على الكرم والسخاء والإيثار ، حتى مدحهم الله به فى قوله : ﴿ **وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝** ﴾ [1] .

(١) سورة الحشر – الآية : ٩ .

ورباهم على حب الدفاع عن عقيدة الإسلام ، ورغبهم فى التضحية بالنفس والمال فى سبيل نشرها ، فأحبوا الجهاد وحرصوا على المشاركة فيه ، حتى أصحاب الأعذار كانوا يبكون حزنًا إذا لم يتمكنوا منه ، وقد قال الله تعالى فيهم : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ (1).

---

(1) سورة التوبة – الآيتان : ٩١ ، ٩٢ .

فهرس الجزء الثامن